

# رسائل الرب للشعب المُحتل

هل يوجد لله رسائل لشعب يعاني تحت وطنة الاضطهاد والاحتلال؟

**الكاتب**

**باسم أدرنلي**

باحث ومُعلم للكتاب المقدس وخلفياته الحضارية  
ومدافع عن الإيمان المسيحي.

كنيسة الإتحاد المسيحي الإنجيلية في الأراضي المقدسة  
الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣

## رسائل الرب للشعب المحتل

### مقدمة

إن أجمل شيء في الكتاب المقدس والذي يميزه عن سائر الكتب التي يؤمن الكثير من الناس أنها من الله، هو أنه لا يحتوي على تعليمات باتجاه واحد فقط (أقصد كلام من الله للإنسان فقط). إن الكتاب المقدس يحتوي أيضا على حوار مستمر ما بين البشرية والله؛ استمر أكثر من ألفي عام. نرى فيه بالطبع كلام الله لنا بتطوره وتفاعله مع النضوج البشري على مر العصور، إلى أن انتهى الأمر بإعلانه الكامل في المسيح. لكن نرى في الكتاب المقدس أيضا، تصرفات الإنسان والشعوب على مر العصور، تأوهات الإنسان، صراعاته، خيائته، يأسه، ضعفه، سقوطه، عنفه، ظلمه، نجاحه، هلاكه... إلخ، وذلك بهدف إبراز طبيعة الله من خلال ردوده لكل حالة من الحالات، وكيف كان ولا زال الله يَرُدُّ الإنسان عن طريقه المعوجة، يُخَلِّصه، يُعَيِّرُه ويرجعه إليه بنعمته.

من خلال خبرة الصراع الذي اختبره الشعب، في فترة النبي إرميا، قبل وبعد الاحتلال البابلي، نجد دعوة الله المستمرة للشعب للتوبة والرجوع؛ ونرى ما هو دور القيادة الروحية في هذا؟ وأيضا نجد القمع والظلم الذي كابده الشعب من البابليين؛ خطاياهم وابتعاده عن الله؛ صراعاته السياسية ما بين التسليم إلى ترتيب الله من خلال الرضوخ للاحتلال البابلي، وما بين الولاء الوطني للأرض والوطن والشعب؛ وخيار الكفاح المسلح والمقاومة العسكرية التي أدت للأسف إلى تدهور حالته إلى أن آلت إلى دمار أورشليم، حرقها بالنار وحرق الهيكل. بالرغم من أنها لم تكن خطة الله لشعبه بحسب النداء الأول الذي أطلقه الله من خلال إرميا. نرى أيضا الضغط النفسي الذي اختبره الملوك عندما عرفوا مشيئة الله، لكن خافوا من ردود فعل الناس وفقدان وزنهم السياسي أمامهم.

يجب أن ندرك أن هذه الأرض، فلسطين وإسرائيل، يطغى عليها شر عظيم، ليس لأنه يوجد فيها ظلم، عنف و سفك دماء فحسب، بل بالدرجة الأولى لأنها لا زالت ترفض المسيح. فإن رفض المسيح بالنسبة لله، هو أعظم خطية وشر، لأن المسيح قال عن الروح القدس: " 8 وَمَتَّى جَاءَ ذَلِكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ 9 أَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِئِي " يوحنا 16: 9، " وهذه هي الدَيْنُونَةُ: إِنَّ الدُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً. " يوحنا 3: 19.

إن رفض المسيح هو أعظم شر، وهو الدينونة بحد ذاتها، لأنه يحجب الإنسان عن الوصول إلى الله وعبادته. العبادة الوحيدة المقبولة لديه بالروح والحق التي تؤدي إلى الحياة الأبدية وتمجيد الله (يوحنا 4: 23).

### حالة شعب الأراضي المقدسة، أرض ووطن يسوع المسيح:

إن قسم من شعب هذه الأرض يُسَمُّون المسيح "بيشو"، أي يلعنوه بعبادة: " لِيُمْحَى اسْمُهُ وَذِكْرُهُ"، وقسم آخر من الشعب يرفضون حقيقة موته وقيامته، وبهذا فإنهم يرفضون محبة الله التي أظهرها لنا

من خلال موت المسيح وقيامته كالذراع الممتدة للبشر بالنعمة، رومية 5: 8. والباقي يعترفون بفعل الإيمان المسيحي كاملاً، لكن يصيهم الكلمة القائلة: "16 يَعْترِفُونَ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ اللَّهَ، وَلَكِنَّهُمْ بِالْأَعْمَالِ يُنْكِرُونَهُ، إِذْ هُمْ رَجِسُونَ غَيْرُ طَائِعِينَ، وَمِنْ جِهَةِ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ مَرْفُوضُونَ." تيطس 1.

لكن نشكر الله لأنه أقام له مؤمنين قليلين أمناء في هذه الأرض وأنا أؤمن أنه في هذا الوقت الصعب من التاريخ، يوجد كلمة من الله للشعب الفلسطيني والإسرائيلي، ولجميع الشعوب التي تقع تحت ظلم، كلمة خلاص وشفاء.

وفي بداية سفر إرميا نرى كيف أن الرب عادةً في تعامله مع أي شعب، يعمل في اتجاهين: الأول يختص في قضاء الله، والثاني يختص في رحمة ونعمة الله.

### الأول: قضاء الله (دينونة الله).

قال الله لإرميا: "15 لأني هَنَذَا دَاعٍ كُلَّ عَشَائِرِ مَمَالِكِ الشَّمَالِ يَقُولُ الرَّبُّ فَيَأْتُونَ وَيَضَعُونَ كُلُّ وَاحِدٍ كُرْسِيَهُ فِي مَدْخَلِ أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ (يحتلون الأرض) وَعَلَى كُلِّ أَسْوَارِهَا حَوَالِيهَا وَعَلَى كُلِّ مُدُنِ يَهُودَا." 16 وَأَقِيمِ دَعْوَايَ عَلَى كُلِّ شَرِّهِمْ لِأَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَبَخَرُوا لِآلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لِأَعْمَالِ أَيْدِيهِمْ." إرميا 1.

طبعاً الله لم يكن المبادر في هذه الفكرة ليدعو البابليين ليحتلوا هذه الأرض بشكل حرفي، لأن الكتاب يُوضِّح في نصوص كثيرة مثل 2: 3، عن دينونة البابليين وغيرهم من الظالمين، المغتصبين الذين اعتدوا على شعب الله قائلاً: "...كُلُّ أَكْلِيهِ (ظالمي شعبي) يَأْتُمُونَ، شَرٌّ يَأْتِي عَلَيْهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ." فالكتاب يستخدم صيغة الله الذي أرسل البابليين ليبرز لنا أنه ليس سلطان إلا من الله، ولا يحدث أي شيء على هذه الأرض، إلا بعدما يسمح الله بحدوثه. لذلك يبرز أيضاً الكتاب بوضوح أن الله غير راض على أفعالهم وظلمهم، لذلك قد أعدَّ لهم دينونة، في أوانه، كما قال: "وَيَكُونُ عِنْدَ تَمَامِ السَّبْعِينَ سَنَةً أَنِّي أُعَاقِبُ مَلِكَ بَابِلَ وَتِلْكَ الْأُمَّةَ يَقُولُ الرَّبُّ عَلَى إِثْمِهِمْ وَأَرْضَ الْكَلْدَانِيِّينَ وَأَجْعَلُهَا خَرَبًا أَبَدِيَّةً." 25: 12.

### الثاني: الرحمة والنعمة

وهي تكمن في تجاوب الشعب مع الكلمة التي يرسلها الله على فم عبيده الأنبياء، في الواقع الذي يسود عليه قضاء الله العادل والصالح لكي يتراجع الله عن قضائه ويبرئ الأرض. فقال الله لإرميا "17 أَمَا أَنْتَ فَتَنَطَّقُ حَقْوَيْكَ وَتَقُمْ وَكَلِمَتُهُمْ بِكُلِّ مَا أَمْرُكَ بِهِ... " إرميا 1.

إن رسالة الرب تنطلق في هذه الأيام من رجال الله في الكنيسة إلى شعب الأرض. تماماً كما فعل الله على مر العصور حيث "أرسلَ كَلِمَتَهُ فَشَفَاهُمْ وَنَجَّاهُمْ مِنْ تَهْلُكَاتِهِمْ." (مزمو 107: 20). نعم أؤمن أن الله يريد أن يرسل كلمته النبوية إلى شعبنا، كما أرسلها إلى الآن من خلال خدام الرب على مر جميع الأزمنة، ليأتي له بالشفاء والخلص من الهلاك. أصلي للكنيسة أن تأتي ليس في رسالة الخلاص التقليدية فحسب، بل للإجابة عن كل تساؤلات الشعب: السياسية، الاجتماعية،

الروحية، والاقتصادية. نعم نؤمن أنه يوجد لله كلمة تعزية ورجاء؛ كلمة شفاء لشعبي السالك في الظلمة وظلال الموت.

## التوحيد الشرك وعبادة الأوثان

الهدف من هذا الفصل هو إدراك كم أن موضوع التوحيد وعبادة الأوثان هو موضوع حيوي وجوهري وعملي لحياتنا اليوم في القرن الواحد والعشرين. لأننا إن لم ندرك مدى تفشي عبادة الأوثان في حياتنا اليوم، من الصعب علينا، إذ ذلك، استشفاف الارتباط الحيوي بين حالتنا اليوم وحالة الشعب في وقت إرميا النبي.

إن الخطية الأولى والأساسية للشعب التي يبرزها الله في بداية سفر إرميا، والتي عليها قائمة هذه السلسلة، هي أن الشعب ترك الرب وعبد الأوثان:

"16 وأقيم دُعَوَايَ عَلَى كُلِّ شَرِّهِمْ لِأَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَبَخَّرُوا لِآلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لِأَعْمَالِ أَيْدِيهِمْ (للأصنام التي صنعتها أيديهم)." إرميا 1.

إن عبادة الأوثان في هذا العالم لا زالت قائمة إلى هذا اليوم، حيث أنّ حوالي نصف العالم إلى هذا اليوم لا يعبدون إله إبراهيم الحقيقي بل آلهة مختلفة كثيرة، وخاصة الهندوس والبوذيين. لكن بالرغم من هذا، عادةً نظن أن هذا الموضوع ليس حيويًا لحياتنا اليوم كمسيحيين نعيش في القرن الواحد والعشرين.

لكن الحقيقة عكس ذلك تمامًا، إن ما يعلمه الكتاب عن التوحيد والشرك بالله هو حيوي، ضروري وعملي جدًا لحياتنا اليوم كمؤمنين بالمسيح. وكم أن تعاليم الله فعالة وماضية، وكما نقول بالعامية "بتمسك الإنسان من اليد التي بتوجعه" بشكل أعظم بكثير من جميع الديانات الأخرى المؤحّدة.

كيف نظر الله لعبادة الأوثان؟

إن الكتاب المقدس نظر لعبادة الأوثان بشكل عام كعدم وضع الله أولاً ووحيدًا في حياتنا. وتأتي بطرق وأشكال عديدة، منها عبادة الأوثان الحرفية، أي أن يضع الإنسان وثن ويعبده. أو تأتي بشكل روحي وسلوكي من جهة داخل وقلب الإنسان. وتأتي في أشكال عديدة، يذكر الكتاب منها:

### 1- التمرد والعناد:

"لأنَّ التَّمَرُّدَ كَخَطِيئَةِ العِرَاقَةِ، وَالْعِنَادُ كَالوَتْنِ وَالتَّرَافِيمِ عبادة الأوثان.." (1 صموئيل 15: 23). يُقصد بالتمرد هنا، الإنسان الذي يعرف كلام الله وطريقه، لكنه يرفض الاستسلام له بل يختار بمحض إرادته أن يضع لنفسه المعايير لما هو صواب. هذا يذكرنا بإغراء الحية لحواء حيث قالت لها: "تكونان كأله عارفين الخير والشر." (تكوين 3: 5)، تصبحان كأله لكم سلطان أن تطلوا لأنفسكم ما هو صحيح وما هو غير صحيح. أي أننا ممكن أن نقول أن إغراء الحية لحواء كان أن تعبد الأوثان، أي أن يصبح آدم وحواء آلهة أنفسهم (عبادة الذات). لذلك يثبتها الله بصفة "العناد" التي تجعل الإنسان عابد للأوثان، لأنه كما يستبدل الإنسان الله ويلتجئ إلى الشيطان (خطية العرافة)، فهو

بالعناد يعلن سلطانه وألوهيته وأنه معصوم وكم هو على صواب. وبذلك يحلل بنفسه ما هو حلال وما هو حرام، ما هو صواب وما هو خطأ، مثل الله تمامًا. ففي اللحظة التي فيها يرفض الإنسان مثلاً موت المسيح وخلصه وسيادته وسلطانه، يصبح إله نفسه. لأنه هو حدد لنفسه طريقاً آخر مُتمرداً على الله، مهما كانت صورة مذهبه الديني. لذلك ينسب الكتاب عبادة الأوثان إلى أعمال الجسد وليس إلى أعمال الشيطان، لأنها تبدأ بسيادة الجسد بدل الله (غلاطية 5: 20). لذلك ركز المسيح على أهمية التوحيد قائلاً: "أَوَّلَ كُلِّ الوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلَ، الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ." (مرقس 12: 29). لأن الوصية الأولى التي أعطها الله لموسى، ردًا على ما فعله حواء وآدم، كانت: "لا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.." (خروج 20: 3). لقد علم المسيح على أننا ممكن أن نستبدل الله ونشرك معه آلهة أخرى بطرق كثيرة منها:

## 2- محبة المال والأمور الدنيوية:

قال المسيح: " لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ." (متى 6: 24). جدير بالذكر أن كلمة "يخدم" تعني "أن يكون مستعبداً لـ"، سيدين أو ربين. أي بكلمات أخرى أنه لا يقدر الإنسان أن يعيش لإلهين أو تحت سلطان إلهين، الله والمال. فالكثير من الناس يغتصبون، يكذبون، يُجرحون، يسرقون، يزورون، ينصبون، وربما يقتلون، لكي يحصلوا على المال. وبعد سنين من هذا النمط من الحياة، يبنون بناية يكتبون عليها: "هذا من فضل ربِّي". نعم إنَّ هذا صحيحاً، إن كل هذه الأموال من فضل ربهم، الذي هو المال والذات أو إبليس. أمَّا إله إبراهيم الحقيقي، فهو بريء من كل درهم وضع على بناية كهذه. لذلك يقول الكتاب: " 9 وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَحٍّ وَسَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْبَةٍ وَمُضِرَّةٍ تُعْرِقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلَاكِ، 10 لِأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَسَلٌ لِكُلِّ الشَّرِّ، الَّذِي إِذْ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ." (تيموثاوس 6).

## 3- الطمع:

الكتاب يصور أيضاً أن الطمع هو عبادة أوثان، وهو يتكلم مع المؤمنين بالمسيح قائلاً: " فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمْ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ: الزَّانَا، النَّجَّاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعُ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الْاَوْثَانِ." (كولوسي 3: 5).

## 4- حياة اللهو والشراهة في ملذات الأطعمة والمشروبات:

يحذر الكتاب المؤمنين بالمسيح بأن لا يكونوا عبدة أوثان مثل الشعب في القديم، وبحسب تفسير الله الدقيق للأحداث، يحدد أن مشكلة الشعب كانت ليست عبادة الأوثان بداية؛ لكن عدم وضع الله أولاً مما أدى إلى استبداله بالأوثان نهاية. وهذا بدأ بتفضيل اللهو والأكل، على العيش والتكريس القلبي لله. " 7 فَلَا تَكُونُوا عِبْدَةَ اَوْثَانٍ كَمَا كَانَ أَنَسٌ مِنْهُمْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: جَلَسَ الشَّعْبُ لِأَكْلِ الشَّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلْعِبِّ." (1 كورنثوس 10). لذلك يعود ليؤكد على هذه القضية لخلاصة تلك الفقرة في عدد 14 بقوله: " لِذَلِكَ يَا أَحِبَّائِي اهْرُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الْاَوْثَانِ."

وفي مكان ثانٍ في الكتاب يقول بولس كيف أن سلوك بعض المؤمنين بملذات وشهوات الجسد، جعل إلههم بطنهم (الفجع في الأكل)، حتى قاد البعض منهم إلى الارتداد عن الإيمان بالمسيح، وبالتالي للهلاك:

" الَّذِينَ نَهَائِيَهُمُ الْهَلَاكُ، الَّذِينَ إِلَهُهُمُ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خَزَائِهِمْ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الْأَرْضِيَّاتِ. " (فيلبي 3: 19).

## 5- الاستمرار في حياة الفتور:

وهنا أريد أن أقدم تحذيراً لنا كمؤمنين عن كيف تبدأ حياة الشرك وعبادة الأوثان؟ تبدأ بحياة الفتور الروحي، لذلك يحثنا الكتاب على أن نكون دائماً: " غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الْأَجْتِهَادِ حَارِّينَ فِي الرُّوحِ عَابِدِينَ الرَّبَّ. " (رومية 12: 11).

نعم أخوتي وأخواتي، فهمتم كيف أن الله من خلال كلامه العملي المُصِيب "ببمسكنا من اليد التي بتوجعنا"، لأنه كلام الإله الحقيقي. الإله الذي لا يأخذ بالكلام "الفاضي" مثل البشر، ويرضى بكلمات جميلة نرددها تشهد أن لا إله إلا الله، لذلك قال الكتاب:

" أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ حَسَنًا تَفْعَلُ وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَفْتَسِعِرُونَ. " (يعقوب 2: 19). إن الشيطان يؤمن أن الله واحد أيضاً، لكن قلبه جامع شرير. أمّا إلهنا، الإله الحقيقي، يعرف ما في داخل قلب الإنسان وميله الجامح. واهتمامه الأول أن يغير قلب الإنسان، ويحرره من عبادة الذات، البطن، المال، الملذات، النساء، السلطة... إلخ. وأكبر إله ربما نعبده كفلسطينيين هو الأرض، حيث يتعلم أبنائنا في المدارس أنهم يجب أن يموتوا من أجل أرضهم ويرووها بدمائهم. أتمنى أن يقودنا هذا الكتيب من خلال سفر إرميا، لتتغير نظرتنا ككنيسة إلى حالتنا السياسية والاجتماعية، لكي نفهم الله بشكل أعمق، ونخدمه بقوة مؤثرة أكثر.

## إعلان دينونة الله

متى يبدأ الله بإعلان دينونته على أي شعب أو بلد؟ وما الذي يوقف تلك الدينونة؟

يبدأ الله بإعلان دينونته على أي شعب عندما تُفسد القيادة الروحية في ذلك البلد.

لقد أرسل الله رسالة دينونة لشعبه في هذه الأرض على فم نبيه إرميا قائلاً: " أَتِي هُنَذَا دَاعٍ كُلَّ عَشَائِرِ مَمَالِكِ الشَّمَالِ (البابليين) يَقُولُ الرَّبُّ قِيَاثُونَ وَيَضَعُونَ كُلُّ وَاحِدٍ كُرْسِيَّهُ فِي مَدْخَلِ أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ وَعَلَى كُلِّ أُسْوَارِهَا حَوَالِيهَا وَعَلَى كُلِّ مُدُنٍ يَهُودَا. " (إرميا 1: 15). والسبب هو أنهم تركوا الله وعبدوا الأوثان (عدد 16). أيضاً رأينا في الفصل السابق أن عبادة الأوثان هي ليست بعيدة عن الكنيسة لأن الكتاب ينظر إليها باعتبارها عدم وضع الرب أولاً ووحيداً في حياتنا الخاصة كأفراد، وفي كنائسنا وخدماتنا كجماعة. وأنها أيضاً ممكن أن تظهر من خلال الكثير من الأمور السلوكية مثل إعطاء السيادة لـ: الحكمة البشرية، الذات، المناصب، الطمع، العناد، التمرد،

المال والأموال الدنيوية ... إلخ. وأشياء أخرى كثيرة ممكن أن تأخذ سيادة وألوية الرب على حياتنا وعلى كنائسنا.

سنرى الآن من الرب تفصيل واضح عن كيفية ترك الشعب للرب؟ وماذا كانت النقطة التي جعلت الرب يختم على دينونته لشعبه في هذه الأرض في زمن النبي إرميا؟

كما يبين لنا الرب أن ترك الشعب له قد صار على ثلاث مراحل:

" هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: مَاذَا وَجَدَ فِي آبَائِكُمْ مِنْ جُورٍ حَتَّى (1) ابْتَعَدُوا عَنِّي (2) وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ (3) وَصَارُوا بَاطِلًا؟" (إرميا 2: 5).

لقد كانت المرحلة الأولى التي مر فيها الشعب هي الابتعاد عن الرب والفتور. بعدها بدأ الشعب السير وراء الباطل أي الجسد وأعمال الشرير. والمرحلة الثالثة هي أن الشعب أصبح باطلا، أي مثل باقي الأمم البعيدة عن الله. حتى في بعض النصوص أعلن الله أن شعبه أصبح أسوأ من الشعوب التي طردها من الأرض بسبب الخطية (مثل ما عمله الملك منسى والذي كان أحد أسباب الدينونة والسبي، إرميا 15: 4 و 2 أخبار 33: 9). وأيضا هكذا قال الله لحزقيال في السبي، بعد خمسة سنوات من سبي يوياكين:

" 6 فَخَالَفْتَ أَحْكَامِي بِأَشْرٍ مِنَ الْأَمَمِ، وَقَرَأَيْضِي بِأَشْرٍ مِنَ الْأَرْضِي الَّتِي حَوَالَيْهَا. لِأَنَّ أَحْكَامِي رَفَضُوهَا وَقَرَأَيْضِي لَمْ يَسْلُكُوا فِيهَا. 7 لِأَجْلِ ذَلِكَ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ ضَجَجْتُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْأَمَمِ الَّتِي حَوَالَيْكُمْ وَلَمْ تَسْلُكُوا فِي فَرَائِضِي وَلَمْ تَعْمَلُوا حَسَبَ أَحْكَامِي، وَلَا عَمَلْتُمْ حَسَبَ أَحْكَامِ الْأَمَمِ الَّتِي حَوَالَيْكُمْ (أي أنه حتى أحكام الأمم أصبحت أفضل من حالهم). " (حزقيال 5).

وهكذا أيضا في حياتنا الخاصة، فعندما لا نطرد الفتور الروحي والابتعاد عن الرب حالا وسريعا، تبدأ حينئذ الخطية تقتحم حياتنا وقلوبنا، وبعدها من الجائز أن يصبح سلوكنا مثل أهل العالم، لكن لأننا نحمل إسم المسيح، نصبح عثرة للناس وذلك يُنتج تأثيرا أسوأ بكثير من غير المؤمنين. كما خاطب بولس المؤمنين في كنيسة كورنثوس ووصفهم بأنهم جسديين ويسلكون بحسب أهل العالم: " لِأَنَّكُمْ بَعْدُ جَسَدِيُّونَ. فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَاشْتِقَاقٌ أَلْسُنُهُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ؟" (1 كورنثوس 3: 3).

لقد رأينا، من خلال سفر إرميا، أن أكثر شيء أزعج الرب من أي شيء آخر، وجعله ينظر للوضع على أنه وصل إلى أقصاه، هو فساد القيادة الروحية في وسط الشعب، حيث تابع بقوله:

" 8 الْكَهَنَةُ لَمْ يَقُولُوا: أَيْنَ هُوَ الرَّبُّ؟ وَأَهْلُ الشَّرِيعَةِ لَمْ يَعْرِفُونِي وَالرُّعَاةُ عَصَوْا عَلَيَّ وَالْأَنْبِيَاءُ تَنَبَّأُوا بِبَعْلِ وَدَهَبُوا وَرَاءَ مَا لَا يَنْفَعُ 9 لِذَلِكَ أَخَاصِمُكُمْ بَعْدُ يَقُولُ الرَّبُّ وَبَنِي بَنِيكُمْ أَخَاصِمُ. " (إرميا 2).

أيضا في مرثي إرميا 4: " ١٣ مِنْ أَجْلِ خَطَايَا أَنْبِيَائِهَا وَأَتَامَ كَهَنَتِهَا السَّافِكِينَ فِي وَسْطِهَا دَمَ الصِّدِّيقِيِّ... ٢٠ نَفْسُ أُنُوفِنَا مَسِيحُ الرَّبِّ أَخَذَ فِي حُفْرِهِمِ الَّذِي قُلْنَا عَنْهُ فِي ظِلِّهِ نَعِيشُ بَيْنَ الْأَمَمِ. " فبالنسبة لله، القيادة الروحية والكنيسة في البلد هي عمود الحق وقاعدته (1 تيموثاوس 3: 15)؛ وعندما تفسد الكنيسة بزلزل الله كل شيء في البلد لكي يأتي بتغيير، لأنه يغار على اسمه القدوس وشهادته. ليس المهم حجم الكنيسة أو تعدادها، بل هل هي سائرة تحت قيادة وسيادة الرب أم لا. وهذا أهم شيء ركز عليه المسيح في خدمته – القيادة الروحية. لذلك نرى أن المسيح لم ينتقد القيادة السياسية الرومانية إطلاقا، بالرغم من ظلمها وطغيانها الشديد. بل ركز على القيادة الروحية دائما، أي الفريسيين والكتبة، محاولا فضح شرها وفسادها، ومن ثم إصلاحها، ودعوته إلى التوبة لأنها هي المفتاح لتغيير البلد. ومع عدم استجابة القيادة الروحية لدعوته للتوبة، ختم المسيح على دينونة الأرض باكيًا:

" 41 وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ (أورشليم) وَبَكَى عَلَيْهَا 42 قَائِلًا: «إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ أَنْتِ أَيْضًا حَتَّى فِي يَوْمِكَ هَذَا مَا هُوَ لِسَلَامِكَ. وَلَكِنَّ الْآنَ قَدْ أَخْفَى عَنْ عَيْنَيْكَ. 43 فَإِنَّهُ سَنَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكَ أَعْدَاؤُكَ بِمِثْرَسَةٍ وَيَحْدِقُونَ بِكَ وَيَحَاصِرُونَكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ 44 وَيَهْدُمُونَكَ وَبَنِيكَ فِيكَ وَلَا يَبْرُكُونَ فِيكَ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ (دينونة قاسية) لِأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ اقْتِنَادِكَ. " (لوقا 19). (السبب كما أعلنه المسيح هو، أن شعب الرب، وخاصة القيادة فيه، لم يؤبوا ولم يقبلوا مسيحهم المنتظر - يسوع).  
إن الله دعى الكنيسة أن تعمل من أجل ملكوته السماوي، لذلك يجب أن لا تأخذ الكنيسة مواقف سياسية، بل مواقف روحية مُصلحة. هذا لا يعني أن الله لا يقيم أحياناً أناساً مؤمنين سياسيين لهم دعوة خاصة لمواجهة الظلم وعدم العدل في نظام الحكم. لكن هذه ليست الدعوة العامة للكنيسة على الإطلاق.

فالمسيح لم يدعُ الكنيسة لترقيع الملكوت الأرضي، غير القابل للإصلاح، بل للعمل للملكوت السماوي الكامل الصَّلاح.

لذلك عندما نمر ككنيسة في حالة حرب في البلاد، يجب أن نفحص أنفسنا، لأن حالة القيادة الروحية هي الميزان الذي يحدد وضع وحالة البلاد، وليست حالة الوضع السياسي. لقد قال بطرس أن قضاء الرب يبتدئ من الكنيسة:

" 17 لِأَنَّهُ الْوَقْتُ لِابْتِدَاءِ الْقَضَاءِ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ. فَإِنْ كَانَ أَوْلًا مَنَّا، فَمَا هِيَ نَهَايَةُ الَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ اللَّهِ؟ (طبعاً أكثر بكثير) (1 بطرس 4). لكن في معظم الأحيان ككنيسة نصلي للأرض صلوات تحمل في معناها أننا نحن الصالحين الأبرار، والمشكلة هي في غير المؤمنين والحكومات وليست فينا. نعم لقد وُضع العالم في الشرير، لكن المفتاح الذي يطرحه هنا الكتاب هو توبة وإصلاح الكنيسة أولاً، كما صلى نحماً قائلاً: "... فَإِنِّي أَنَا وَبَيْتُ أَبِي قَدْ أَخْطَأْنَا. " (نحميا 1: 6)، وكما صلى دانيال: " يَا سَيِّدُ لَنَا خِزْيُ الْوُجُوهِ لِمَلُوكِنَا لِرُؤُسَائِنَا وَلِبَائِنَا لِأَنَّنا أَخْطَأْنَا إِلَيْكَ. " (دانيال 9: 8). لأن الكنيسة هي الميزان الذي يحدد مصير الأرض وليس السياسة والسياسيين.

فدعوة البناء، التغيير والإصلاح، موضوعة على عاتق الكنيسة كما تنبأ عليها أشعيا قائلاً:

" 3 لِأَنَّكَ تَمْتَدِّينَ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ وَيَرِثُ سَلْتُكَ أُمَّمًا وَيَعْمَرُ مَدُنًا خَرِبَةً. " (أشعيا 54).

وهي التي ينبغي أن تقود سير الرؤساء والملوك وليس العكس:

" 2 لِأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُعْطِي الْأَرْضَ وَالظُّلَامُ الدَّامِسُ الْأُمَّمَ. أُمَّمًا عَلَيْكَ (على الكنيسة) فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكَ يَرَى. 3 فَتَسِيرُ الْأُمَّمُ فِي ثُورِكَ، وَالْمَلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكَ. " (أشعيا 60).

لكن هذا لا يعني أن الكنيسة يجب أن تنخرط في السياسة، كما قلنا هذه ليست دعوة الكنيسة. فإذا تأملنا في صلوات الأنبياء لبلدهم وشعبهم، نرى أنه يكاد أن لا يكون أي تركيز على الاحتلال أو القيادة الظالمة أو السياسة العامة... إلخ. لكن دائماً كان تركيزهم على الإصلاح الروحي والسلوكي في الشعب، أي الكنسي. وعندما نتكلم عن الكنيسة نتكلم عن قادة الكنيسة أولاً، لذلك عندما يبدأ الرب بإبراء الأرض يصلح القيادة الروحية أولاً:

" 14 إِرْجِعُوا أَيُّهَا الْبُنُونَ الْعُصَاةُ يَقُولُ الرَّبُّ لِأَنِّي سُدْتُ عَلَيْكُمْ فَأَحْذَكُمُ وَاحِدًا مِنَ الْمَدِينَةِ وَاثْنَيْنِ مِنَ الْعَشِيرَةِ وَآتِي بِكُمْ إِلَى صِهْيُونَ 15 وَأَعْطِيكُمْ رِعَاءَ حَسَبِ قَلْبِي فَيَرُغُونَكُمْ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ. " (إرميا 3).

يجب أن ندرك أن الرب استأمننا ووضع على عاتقنا كخُدَّامٍ مسئولية مصير الكنيسة والبلد. فالكل يبتدئ منا، وليس من الرعية.

فلنأخذ قراراً كخُدَّامٍ أن نرجع إلى الرب بقوة من قلوبنا، ونعترف بخطايانا في تواضع وانكسار، أمام الله والرعية. كما صلى إرميا معترفاً بخطاياهم وأيضاً بخطايا رؤساء الشعب قائلاً:



" لِيَأْتِ كُلُّ شَرِّهِمْ أَمَامَكَ. وَافْعَلْ بِهِمْ كَمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ أَجْلِ كُلِّ ذَنْبِي لِأَنَّ تَنَهُدَاتِي كَثِيرَةٌ وَقَلْبِي مَعْشِيٌّ عَلَيْهِ. " (مراثي 1: 22).

" 37 مَنْ ذَا الَّذِي يَقُولُ فَيَكُونُ وَالرَّبُّ لَمْ يَأْمُرْ؟ 38 مَنْ فَمَ الْعَلِيِّ أَلَا تَخْرُجُ الشُّرُورُ وَالْخَيْرُ؟ 39 لِمَاذَا يَسْتَكْبِرُ الْإِنْسَانُ الْحَيُّ الرَّجُلُ مِنْ قِصَاصِ خَطَايَاهُ؟ 40 لِنَفْحَصِ طُرُقِنَا وَنَمْتَحِنُهَا وَنَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ. 41 لِنَرْفَعِ قُلُوبِنَا وَأَيِّدِنَا إِلَى اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ 42 نَحْنُ أَدْنَبْنَا وَعَصَيْنَا... " (مراثي 3).

أين قوات الاحتلال البابلية والظلم السياسي من هذه الصلوات؟ أين المقالات التي يكتبها خدام الرب ليشجبوا الاحتلال والظلم البابلي؟ طبعاً سوف لا نراها تصدر من إرميا على الإطلاق، لأنه، كرجل الله، يدرك أن المفتاح لتغيير البلد والنظام هو الخضوع والتوبة والرجوع للرب من خلال الخضوع للاحتلال البابلي كما سنرى من خلال الفصول القادمة. لأن الرب سيغير كل شيء في هذه الأرض إذا رأى قيادة كنسية: عابدة، مؤمنة، مُحِبَّة، تابعة، مطيعة له من القلب. كما حفز الله شعبه في كلمته المقدسة، وقال:

" ٧ فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمُ الرَّدِيَّةِ فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيئَتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ. " ٢ أخبار ٧.

### مَنْفَذُ الرَّحْمَةِ وَالرَّجَاءِ

مقابل إعلان دينونة الله وفي وسط رسالة القضاء والحكم الصعب، يوجد دائماً عند الله منفذ للرحمة والرجاء. بواسطته، يستطيع الإنسان أو الشعب أن ينجو من قضاء الله العادل والصعب؛ وعندها ينقله الرب إلى مجدٍ أعظم.

لقد شبه الكتاب المقدس كلمة الله مراراً وتكراراً أنها كسيف ذو حدين: (مزمو 149: 6 وعبرانيين 4: 12 ورؤيا 1: 16). هذان الحدان هما: حد الحق، الذي يتكلم عن الحكم، الدينونة والقضاء، والحد الآخر هو حد الرحمة الذي يتكلم عن الشفاء، الأمل والرجاء (إرميا 32: 42)، لقد تكلمنا في الفصل السابق عن إعلان دينونة الله في الكلمة التي تكلم بها الله من خلال إرميا النبي للشعب. لكن في وسط جميع رسائل الدينونة والقضاء دائماً نجد منفذ للرحمة والرجاء:

" 11 لِأَدِّي عَرَفْتُ الْأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ أَفْكَارَ سَلَامٍ لَا شَرٌّ لِأَعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً. " (إرميا 29).

هذا المنفذ، يضعه الله لكي نستطيع أن نثبت ونتغير كأفراد وشعوب (1 كورنثوس 10: 13). سنخصص هذا الفصل لنتكلم عن منفذ الرحمة والرجاء من خلال سفر إرميا النبي.

### ماذا يريد الله أن يقدم للشعوب والبشر من خلال منفذ الرحمة؟

يجب أن ندرك أنه يوجد عند الله هدف وخطة من وراء الدينونة والقضاء، والهدف هو لكي نلتجئ إلى رحمته وعونه. بالطبع ليس لكي يعذب الله معنا ويرجعنا حيث كنا، بل لشفاننا وتغييرنا إلى أفضل مما كنا.

يوجد عند الله أهداف كثيرة من وراء منفذ الرحمة والرجاء ، منها:

لأبراز رافة الله، 3: 12. لكي يدرك الإنسان أن التطهير يأتي فقط من الله، 2: 22. ليعطي الإنسان أمان، لأن رحمة أبعد من حدود وقدرات الإنسان، 3: 1. لتعزيز أبوة الله لنا، 3: 19. ليجعلنا بركة للأمم والشعوب، 4: 1-2. ليرجعنا إلى المكان الذي سقطنا منه، 6: 16. لييري الإنسان أعمال أعظم، 14-15. لتثبيت عهده مع الشعب، 16-18، ورفع، عدد 22.

أيضاً لكي يكسر الله القوالب والآبار التي حفرها الإنسان لنفسه:

لذلك قال الله عن شعبه:

" 12 إِبْهَتِي أَيُّهَا السَّمَاوَاتُ مِنْ هَذَا وَأَقْشَعِرِّي وَتَحَيَّرِي جِدًّا يَقُولُ الرَّبُّ. 13 لِأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرًّا: تَرَكُونِي لَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ لِيَنْفُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ آبَارًا آبَارًا مُشَقَّةً لَا تَضْبُطُ مَاءً." (أرميا 2). في حياتنا الروحية من وقت إلى وقت، نبني لأنفسنا تقاليد وقوالب لا تضبط ماء. هذه القوالب تحد من نمو إيماننا في قدرة الله المجيدة، والتي تستطيع أن تعمل بطرق جديدة، بعيدة عن خيالنا وتوقعاتنا وقوالبنا التي بنيناها لأنفسنا وتعودنا عليها. ولكي نستطيع أن ندرك قدرة الله المجيدة، يجب أن يكسر الرب القوالب التي بنيناها لأنفسنا والتي هي مثل الآبار المشققة التي لا تضبط ماء ولا ثمر مؤثر لملكوت له.

للإنجيليين الذين يفكرون بافتخار أنه ليس عندهم تقاليد، سأورد مثالين حيويين فقط لأجل الإيضاح. مثلاً عندنا اليوم في معظم الكنائس الإنجيلية شيوخاً مرسومين (يدعونهم قسوساً)، وشيوخ غير مرسومين. وعادةً مكانة الشيوخ المرسومين أعلى من الشيوخ غير المرسومين. لدرجة أنه في العديد من الكنائس لا يسمح للشيوخ غير المرسوم أن يقوم بفريضة العشاء الرباني والمعمودية مثلاً، والعديد من الخدمات الأخرى.

أين توجد هذه الطبقية في العهد الجديد؟ هل عيّن بولس طبقتين من الشيوخ في كنائس العهد الجديد؟

إن هذه ببساطة قوالب وتقاليد وضعناها لأنفسنا، وآبار مشققة لا تضبط ماء، حيث أنها تحد يد الله من إطلاق وفرز خدام كثيرين مدعوين لامتداد ملكوت الله.

إن الكنيسة الإنجيلية في الشرق الأوسط هي كنيسة أمركية ناطقة باللغة العربية. نشكر الله من أجل المرسلين الأمريكيين الذي أتوا إلينا برسالة الإنجيل، وبفضلهم تباركنا وعرّفنا الله. لكن ربما يوجد عند الله في هذا الوقت ملامح أخرى للكنيسة يريد الروح القدس أن يشكلها. أن من اعظم الأمور التي تميز المسيحية عن سائر الديانات هي، أن المسيحية لم تمحي حضارات الشعوب، بل نبتت في أراضيها؛ تفاعلت وتكيفت معها؛ ثبتتها، عززتها، وقومتها. مثلاً نرى من خلال العصور الأولى كيف تعاملت المسيحية مع الحضارات. فالكنيسة السريانية العراقية مثلاً، ملامحها عراقية، لاهوتية عراقية، طقوسها وأناشيدها عراقية ولغتها التي تعبد بها عراقية. كذلك الكنيسة القبطية المصرية، وكنيسة روما الكاثوليكية هي رومانية بكل نبضة من نبضاتها، وكذلك كنيسة الأرمن، وكنيسة الحبش. بخلاف الإسلام مثلاً الذي قام، إلى حدّ ما، بخلع الشعوب من حضاراتهم ولغاتهم. فعندما تدخل مسجد في الصين مثلاً، تجده نسخة طبق الأصل عن مساجد السعودية؛ المصلين يصلون بالعربية، يجلسون ويركعون بحسب تعليمات المسلمون العرب. لهذا السبب، المسيحية هي التي حافظت على ما تبقى من الحضارات في الشرق الأوسط. لذلك يجب أن تعطي الكنيسة الحرية

لإبداع الروح القدس ليشكلها بالشكل الذي يريد؛ وربما يغير ملامحها الأمريكية ويعطيها ملامح أخرى.

في وسط دينونة الله، الله يريد من خلال رحمته أن يكسر القوالب التي بنيناها لأنفسنا مثل الشعب على زمن إرميا النبي. وفيما يلي بعض القوالب والآبار المشققة التي بناها الشعب. سنرى أيضًا كيف أن الله، بكسر تلك القوالب، يريد أن يخرجهم من توقعاتهم المحدودة، إلى قدرة الله غير المحدود.

### كسر قالب تابوت العهد:

" 16 وَيَكُونُ إِذْ تَكْثُرُونَ وَتُثْمِرُونَ فِي الْأَرْضِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بَعْدُ: تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ وَلَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ وَلَا يَذْكُرُونَهُ وَلَا يَنْعَهْدُونَهُ وَلَا يُصْنَعُ بَعْدُ. 17 فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يُسْمُونَ أُورُشَلِيمَ كُرْسِيَّ الرَّبِّ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ الْأُمَّمِ إِلَى اسْمِ الرَّبِّ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَلَا يَذْهَبُونَ بَعْدُ وَرَاءَ عِنَادِ قَلْبِهِمُ الشَّرِيرِ. " (إرميا 3). فالله يريد أن يفتح ذهن شعبه إلى عمل روحي غير محدود، بعيد عن خياله والأشياء المادية التي هو متمسك بها.

### كسر قالب هيكل الرب:

" 4 لَا تَتَكَلَّمُوا عَلَى كَلَامِ الْكُذِبِ قَائِلِينَ: هَيْكَلُ الرَّبِّ هَيْكَلُ الرَّبِّ هَيْكَلُ الرَّبِّ هُوَ! " (إرميا 7)، بالرغم من أن هيكل الرب مقدس، ومهم جدًا لدى الله (عدد 30)، ولكنه يريد أن يحول ذهنهم إلى إله الهيكل الذي عنده خطة أعظم بكثير من هيكل الحجارة، جسد المسيح، هيكل الحجارة البشرية، أي الكنيسة من كل أمة وشعب ولسان (يوحنا 2: 19-21 و 1 كورنثوس 3: 16).

### كسر قالب الافتخار بأنهم أفضل شعب:

" 23 هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لَا يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ وَلَا يَفْتَخِرَ الْجَبَّارُ بِجَبَرَوْتِهِ وَلَا يَفْتَخِرَ الْعَنِيُّ بِعِنَاةِهِ. 24 بَلْ بِهِذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بَأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلًا فِي الْأَرْضِ لِأَنِّي بِهِذِهِ أُسْرُ يَقُولُ الرَّبُّ. " (إرميا 9).

إن افتخار أي شعب بأنهم أفضل أمة، هو سبب كاف لدمار أي أمة. فنحن نعيش في أرض فيها أناس من أربع ديانات على الأقل. نتعاملنا مع بعضنا البعض عادة في احترام، لكن كل واحد في داخله يشعر أنه أفضل من ذي الديانة الأخرى. هذا ما نسميه "احترامًا فوقيًا" (إني احترمك، لكني أفضل منك). لم يعلمنا هذا الكتاب أبدًا، فالكتاب دعى شعبه أن يتعامل مع ذي الدين الآخر كالوطني، ويحبه كنفسه (لاويين 19: 34)، وحتى في العهد الجديد يطالبنا أن نكرم الآخر أكثر من نفسنا (فيلبي 2: 3).

### كسر قالب البر الذاتي:

لقد قدم الرب من خلال رسالة الرحمة والرجاء فكرة أن الله بنفسه سيكون برنا من خلال عمل المسيح، وليس أننا نصبح أبرار إذا مارسنا أعمال البر. طبعًا الله يريدنا أن نعمل أعمال البر، لكن ليس لتكون مصدر برنا.

" 5 أَيَّامٍ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقِيمِ لِدَاوُدَ عُصْنَ بَرٍّ (عن المسيح) فَيَمْلِكُ مَلِكًا وَيَجْحُ وَيَجْرِي حَقًّا وَعَدْلًا فِي الْأَرْضِ. 6 فِي أَيَّامِهِ يُخَلِّصُ يَهُودًا وَيَسْكُنُ لِإِسْرَائِيلَ أَمِنًا وَهَذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بَرُّنَا." (أرميا 23).

### كسر قالب معرفة الشريعة ليقدم نعمة معرفة الله:

هذا طبعًا حدث من خلال العهد الجديد والغفران الذي حصلنا عليه في الصليب:  
" 31 هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُودًا عَهْدًا جَدِيدًا.... 34 وَلَا يُعْلَمُونَ بَعْدَ كُلِّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ لُخَاهُ قَائِلِينَ: [اعْرِفُوا الرَّبَّ] لِأَنَّهُمْ كَلَّمَهُمْ سَاعِرُفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ. لِأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ وَلَا أذْكَرُ خَطِيئَتَهُمْ بَعْدَ." (إرميا 31، راجع أيضًا 22: 16 و 24: 7).

### كسر قالب ختان الجسد والنسل الوراثي وتقديم نعمة ختان القلب:

" 4 اخْتَنَّتُوا لِلرَّبِّ وَأَنْزِعُوا غُرْلَ قُلُوبِكُمْ يَا رَجَالَ يَهُودًا وَسُكَّانَ أورشليمَ لئلاَّ يَخْرُجَ كَنَارٌ غَيْظِي فَيَحْرِقَ وَلَيْسَ مَنْ يُطْفِئُ بِسَبَبِ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ." (إرميا 4).

### كسر قالب كراهية قوات الاحتلال

وذلك كان عن طريق طلب الرب أمرًا غريبًا وصعبًا من الشعب، وهو أن يصلوا لسلامة مدن دولة الاحتلال البابلي الظالم التي يُسيون إليها:  
" 7 واطلبوا سلامَ المدينة التي سببكم إليها وصلوا لأجلها إلى الربِّ لأنه بسلامها يكون لكم سلامٌ." (إرميا 29). والهدف هو أن يكون شعب الرب مشفي من جراح الكراهية والمرارة العرقية والوطنية، لكي يكون مثمرًا ويصبح شهادة للأمم:

" 9 فَتَكُونُ لِي (أمتي) اسْمَ فَرَحٍ لِلتَّسْبِيحِ وَلِلزَّيْنَةِ لَدَى كُلِّ أُمَّةٍ الْأَرْضِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ بِكُلِّ الْخَيْرِ الَّذِي أَصْنَعُهُ مَعَهُمْ فَيَخَافُونَ وَيَرْتَعِدُونَ مِنْ لُجْلِ كُلِّ الْخَيْرِ وَمِنْ لُجْلِ كُلِّ السَّلَامِ الَّذِي أَصْنَعُهُ لَهَا" (إرميا 33).

يا رب، نشكرك لأنك إله الرحمة والرجاء، الرجاء الذي لا يخزي منتظره أبدًا. نشرك لأن لك خطة من وراء تلك الرحمة في حياتنا ككنيسة وشعب. سامحنا يا الله على القوالب والآبار المشققة التي بنيناها لأنفسنا والتي لا تضبط ماء. عزز جميع الأساسات المقدسة التي ثبتها بنفسك في كنيستك في البلاد، والتي تتكل عليك يا ينبوع المياه الحية. نحتاج إليك يا الله لكي تثبت وتحيي كل شيء ميت في وسط شعبك وأرضك.

## ثلاثة مبادئ للتعامل مع الضيق

إن هذه الثلاثة مبادئ، التي تعكس طبيعة الله، إن أدركناها وأمنا بها، نجعل الله يفندي الضيق لمجده العظيم وبأفضل طريقة. ونستطيع أن نطبقها في كافة أنواع الضيقات ولا سيما الضيقات السياسية. عندما تمادى شعب إسرائيل في زمن إرميا النبي في الخطية وعبادة الأوثان، وبعد النداءات الكثير من النبي إرميا والتي استمرت لفترة 23 عامًا كما قال:

" 3 ... هَذِهِ الثَّلَاثُ وَالْعِشْرِينَ سَنَةً صَارَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ فَكَلَّمْتُكُمْ مُبَكَّرًا وَمُكَلَّمًا فَلَمْ تَسْمَعُوا." يتابع إرميا ليروي للشعب ملخصًا عن مجمل هذه النداءات:

" 4 وَقَدْ أَرْسَلَ الرَّبُّ إِلَيْكُمْ كُلَّ عَبِيدِهِ الْأَنْبِيَاءِ مُبَكَّرًا وَمُرْسِلًا فَلَمْ تَسْمَعُوا وَلَمْ تَمِيلُوا أَدْنَكُمْ لِلسَّمْعِ 5 قَائِلِينَ: ارْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيِّ وَعَنْ سَرٍّ أَعْمَالِكُمْ وَأَسْكُنُوا فِي الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطَاكُمْ الرَّبُّ إِيَّاهَا وَأَبَاءَكُمْ مِنَ الْأَزَلِ وَإِلَى الْأَبَدِ. 6 وَلَا تَسْلُكُوا وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى لِتَعْبُدُوهَا وَتَسْجُدُوا لَهَا وَلَا تَغِيظُونِي بِعَمَلِ أَيْدِيكُمْ فَلَا أُسِيءَ إِلَيْكُمْ." (إرميا 25).

من خلال دراسة عامة للنصوص في فترة ما قبل وخلال تسلط الاحتلال البابلي، ممكن أن نستخلص هذه الثلاثة مبادئ، عن طبيعة الله، التي ستساعدنا اليوم أيضًا على معرفة الله وتتميم مشيئته، وافتداء الضيق بالإيمان للأفضل لكنيستته وشعبه.

هذه المبادئ هي: الله صالح، عارف، قادر:

1. الإيمان بأن الله صالح ويريد الأفضل لأجلي ولأجل شعبي.
2. الإيمان بأن الله عارف ما هو الأفضل لأجلي ولأجل شعبي.
3. الإيمان بأن الله قادر على كل شيء – ثقة وتسليم.

### 1- الإيمان بأن الله صالح ويريد الأفضل لأجلي ولأجل شعبي:

كلم الله الشعب مرارًا وتكرارًا كلام رجاء وتشجيع لكي يؤكد لهم أن مشيئته لهم كاملة، صالحة ولا تحتوي أي عيب مهما صغر:

" 10 لِأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ. إِنِّي عِنْدَ تَمَامِ سَبْعِينَ سَنَةً لِيَابِلَ أَنْعَهْدَكُمْ وَأَقِيمُ لَكُمْ كَلَامِي الصَّالِحَ بِرَدِّكُمْ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ. 11 لِأَنِّي عَرَفْتُ الْأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ أَفْكَارَ سَلَامٍ لَا سَرٍّ لِأَعْطِيكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً."

ويتابع الله ليبرز هدفه الصالح من وراء سماحة للضيق السياسي، وهو لكي يرجع إليه الشعب ويطلب وجهه:

" 12 فَتَدْعُونِي وَتَدْهَبُونَ وَتُصَلُّونَ إِلَيَّ فَأَسْمَعُ لَكُمْ. 13 وَتَطْلُبُونِي فَتَجِدُونِي إِذْ تَطْلُبُونِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ."

عندها يستجيب الرب ويرد سبي الشعب بعد تنقيته لهم:

" 14 فَأَوْجِدُكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ وَأَرُدُّ سَبْيَكُمْ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ كُلِّ الْأُمَّمِ وَمِنْ كُلِّ الْمَوَاضِعِ الَّتِي طَرَدْتُكُمْ إِلَيْهَا يَقُولُ الرَّبُّ وَأَرُدُّكُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي سَبَيْتُكُمْ مِنْهُ." (إرميا 29، أيضًا 3: 22).

إدًا عندما يمر شعب في حرب ظالمة مثلاً أو كوارث طبيعية أو ضيقات ومجاعات، يجب أن ندرك أن خطة الله من نحو ذلك الشعب هي صالحة وكاملة. بالرغم من تعسر فهمنا عن كيف ممكن أن يكون هذا ونحن نرى أماننا، في وسط الضيق، عكس الصالح تماماً. فلنكن نستطيع أن نتق أن الرب صالح وأن خطته من نحو شعبي كاملة وليست فيها أي عيب، نحتاج إلى الإيمان.

## 2- الإيمان بأن الله عارف ما هو الأفضل لأجلي ولأجل شعبي.

مثل باقي الشعوب التي تمر في ظل احتلال وظروف سياسية سيئة، كانت هناك آراء عديدة متضاربة في وسط الشعب عن ما هو الأفضل لهم:

فيوجد هناك من كان يظن أنهم يجب أن يخوضوا كفاحاً مسلحاً ضد الاحتلال البابلي (2 ملوك 24: 20)، وضد المتعاونين معهم (2 ملوك 25: 22 و 25)، وكان هنا أيضاً توجه للتحالف بين يهوذا ومصر بعد هزيمة يوشيا الملك وتعيين المصريين يهوياقيم بعده (2 أخبار 36: 4). ويوجد من اعتقد أنه من الأفضل أن يهاجروا إلى مصر لطلب الأمان والاستقرار والهروب من الموت والخطر (2 ملوك 25: 26 وإرميا 42).

أما إرميا فنقل إليهم دعوة الله للشعب بأن يبقوا في اورشليم، وأن يخضعوا لسيادة البابليين، لكي لا يذهبوا إلى السبي ويستقروا في أرضهم:

" 5 إني أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض بفوتي العظيمة وبذراعي الممدودة وأعطيتها لمن حسن في عيني 6 والآن قد دفعت كل هذه الأراضي ليدي نبوخذنصر ملك بابل عبدي وأعطيته أيضاً حيوان الحقل لخدمته 7 فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنة حتى يأتي وقت أرضيه أيضاً فتستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام 8 ويكون أن الأمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذنصر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل إني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء يقول الرب حتى أفنيها بيده ... 11 والأمة التي تدخل عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه أعملها تستقر في أرضها يقول الرب وتعملها وتسكن بها" (إرميا 27)

(أيضاً جدير بالذكر أن الدعوة لم تكن فقط لشعب الرب، بل لملوك شعوب أخرى مثل: أدوم، مواب، بني عمون، صور، وصيدون، الأعداد 1-3).

أراد الله أن يجعلهم يدركون أنه هو الذي يعرف تماماً ما هو الأفضل لهم. ويقنعهم بأن اختيار الله هو الأفضل، الذي سيؤدي إلى إرجاعهم إليه، مما سينول للأفضل لهم ولأولادهم وسيحقق الأمان والاستقرار والعدل أيضاً:

" 39 وأعطيتهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام لخيرهم وخير أولادهم بعدهم." (إرميا 32).

## 3- الإيمان بأن الله قادر على كل شيء - تسليم.

بالرغم من أن إرميا تعذب من جميع الأطراف (مراثي 3: 1-19)، وحتى من أقربائه اتهم بالخيانة الوطنية والعمالة لبابل (37: 13-14 و 38: 4)، وأيضاً تألم مثله مثل أي شخص يحب شعبه لما آلت إليه حالة الشعب من أسى وألم (مراثي 1: 8-11). لكن بالرغم من هذا، قد بقي عنده رجاء وأمل بأن الله صالح وهو قادر على كل تغيير كل شيء، وفي أي وقت، وأعلن هذا في صلاته لله قائلاً:

" 17 أه أيها السيد الرب ها إنك قد صنعت السموات والأرض بفوتك العظيمة وبذراعك الممدودة. لا يعسر عليك شيء." (إرميا 32).

وثبت هذه الصلاة الله، برده أنه فعلاً لا يعسر عليه شيء:  
" 27 هُنَذَا الرَّبُّ إِلَهُ كُلِّ ذِي جَسَدٍ. هَلْ يَعْسُرُ عَلَيَّ أَمْرٌ مَا؟" (إرميا 32).

يجب أن نؤمن أن الله قادر أن يغير الوضع السياسي في بلادنا بين ليلة وضحاها. الله قادر أن يُخَلِّص الأمة في يوم واحد، كما سبق وقال في زمن النبي أشعيا:  
" 8 مَنْ سَمِعَ مِثْلَ هَذَا؟ مَنْ رَأَى مِثْلَ هَذِهِ؟ هَلْ تَمَخَّضُ بِلَادٌ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَوْ تُوَلَّدُ أُمَّةٌ دَفْعَةً وَاحِدَةً؟ فَقَدْ مَخَّضَتْ صِهْيُونُ بَلٌ وَوَلَدَتْ بَنِيهَا! 9 هَلْ أَنَا أَمَخَّضُ وَلَا أَوْلَدُ يَقُولُ الرَّبُّ أَوْ أَنَا الْمُوَلَّدُ هَلْ أُغْلِقُ الرَّحِمَ قَالَ إِلَهُكَ؟" (أشعيا 66).

### صلاة:

نعم يا رب نؤمن بأن مشيئتك من نحو شعبي كاملة وليس فيها أي عيب. نؤمن أنك أنت وحدك الذي تعرف ما هو الأفضل لشعبي. نستسلم لإرادتك، ونشكرك على المكان والظروف اللذان وضعتنا فيهما. نسلمك مصير بلادنا وشعبنا، ونتق أنك أنت الذي لك كل سلطان في السماء وعلى الأرض، وأنت القادر على كل شيء ولا يعسر عليك أمر.  
" 7 وَإِنْ تَكُنْ آتَامُنَا نَسْتَهْدُ عَلَيْنَا يَا رَبُّ فَاعْمَلْ لِأَجْلِ اسْمِكَ. لِأَنَّ مَعَاصِينَا كَثُرَتْ. إِلَيْكَ أَخْطَأْنَا. 8 يَا رَبِّ جَاءَ إِسْرَائِيلُ مُخَلَّصُهُ فِي زَمَانِ الضِّيقِ لِمَاذَا تَكُونُ كَعَرِيبٍ فِي الْأَرْضِ وَكَمُسَافِرٍ يَمِيلُ لِيَبِيتَ؟ 9 لِمَاذَا تَكُونُ كَأَنَّكَ قَدْ تَحَيَّرَ كَجَبَّارٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَلِّصَ؟ وَأَنْتَ فِي وَسْطِنَا يَا رَبُّ وَقَدْ دُعِينَا بِاسْمِكَ، لَا تَتْرُكْنَا!" (إرميا 14).

### ما هو الخيار الأفضل؟

لقد تعلمنا في الفصل السابق، ثلاثة مبادئ عن طبيعة الله تساعدنا لأن نطلق يد الله لتفتدي الضيق لمجده وللأفضل.  
وهذه المبادئ هي: الإيمان بأن الله يريد الأفضل لشعبي، ويعرف ما هو الأفضل لشعبي، وقادر على تحقيق الأفضل.  
لكن في هذا السياق، من جهة كلمة "الأفضل"، التي وردت في الثلاث نقاط، نحتاج أن نعرّف ونحدد لأنفسنا عن ماذا تعني كلمة "الأفضل"، بالنسبة لله وبالنسبة لنا.  
بحسب ما نراه من سياق كتاب إرميا، تراوحت آراء الشعب من نحو ما هو الأفضل ما بين، انتهاء الاحتلال البابلي وحلول الاستقلال والازدهار (إرميا 28: 4)، وما بين الإصلاح الروحي الذي كان ينادي به إرميا النبي من خلال الخضوع للحكم البابلي (إرميا 27: 1-15). لكن الذي يزيد الأمر صعوبة وتعقيداً هو، أنه في الكثير من الأحداث المماثلة السابقة، دعى الرب الشعب للدفاع والتصدي للعدوان. أما في تلك الحادثة، كان الخيار الأفضل بالنسبة للرب هو الخضوع للعدوان. إذاً كيف نستطيع أن نحدد ما هو الخيار الأفضل للشعب.

دعونا كفلسطينيين نسأل أنفسنا سؤالين أساسيين لكي نحدد ما هو الأفضل بالنسبة لنا:

- هل تفضّل أن يعيش شعبنا الفلسطيني في حرية، مساواة، وازدهار، وعدل، لكن مع سبات وضعف كنسي روحي؟

- أو أن يعيش في انتعاش ونهضة كنسية روحية عارمة، لكن في ظل عدم وجود حرية، مساواة، وازدهار، وعدل؟

لنحاول أن نجيب على هذان السؤالين وبيننا وبين الرب بصدق. الإجابة ستحدد ما هو تعريف كلمة "الأفضل" بالنسبة لنا، أو ما هي الأولوية الأولى بالنسبة لنا، وعليه سنقدر أن نفهم توجهنا الروحي السياسي أكثر.

طبعاً بحسب رأيي الخاص الأفضل لشعبي الفلسطيني هو أن يتمتع بالإثنين معاً: أن يعيش في حرية، مساواة، وازدهار، وعدل، وفي نفس الوقت أن يختبر خلاصاً وانتعاشاً ونهضة روحية من جهة معرفة الرب يسوع المسيح فيجب أن يكون هذا رجاءنا وصلاتنا. لكن اختيار احتمال واحد فقط من الإثنين، سيساعدني على فهم الأهم بالنسبة لي، وهذا سيقودني إلى سؤال آخر:

### هل الأهم بالنسبة لي، هو الأهم بالنسبة لله؟

إن هذا الصراع كان حيوي للغاية على زمن إرميا النبي، حيث أن القسم الأكبر من الشعب اعتبر الأفضل هو الاستقلال من البابليين (إرميا 28: 2 و 4 و 10-11)، واستعادة أنية بيت الرب (28: 2)، أو الهجرة إلى مصر (42: 13-16) وأماً بالنسبة للرب، فالأفضل كان التوبة والخضوع للاحتلال البابلي (27: 5-12)، والذي سيخضع لترتيب الرب في ذلك الوقت، ويضع عنقه تحت نير ملك بابل، سيباركه الرب ويجعله يستقر في أرضه، ويزرعها ويسكن بها كما قال:

" 11 وَالْأُمَّةَ الَّتِي تُدْخِلُ عُنُقَهَا تَحْتَ نَيْرِ مَلِكِ بَابِلَ وَتَخْدِمُهُ أَجْعَلَهَا تَسْتَقِرُّ فِي أَرْضِهَا يَقُولُ الرَّبُّ وَتَعْمَلُهَا وَتَسْكُنُ بِهَا. " (إرميا 27).

نرى أيضاً مثلاً أن الأغلبية الكبيرة من الشعب كانت نظرتهم للسلام مشوهة (6: 14 و 8: 11)، وتختلف عن نظرة الله (29: 11). إذاً المهم فحصه في هذا السياق هو:

هل الخيار الأفضل برأيي، هو الخيار الأفضل برأي الله؟ وما هي المعايير التي تحدد هذا؟

كذلك نحن أيضاً، فإذا عملنا استطلاعاً للرأي وسألنا مجموعة من العرب الفلسطينيين، ما هي القرارات والخيارات الأفضل التي كان ينبغي على سياسيينا وقادتنا أن يأخذوها منذ سنة 1948 وإلى هذا اليوم. سنجد آراء كثيرة ومتعددة، مع العلم أننا نتكلم عن رجوع إلى الوراء بعد رؤية الأحداث. فكم بالحري أصعب بكثير أن نعرف أي احتمال يجب أن نأخذه اليوم لأجل المصلحة الفضلى للغد المجهول. وهل الأفضل الذي نتمناه، مفروض أن يكون الأفضل للملكوت؟ أم يكون الأفضل سياسياً واجتماعياً؟

أعتقد أننا يجب أن نثق بأن الله وحده هو الذي يعلم الأفضل لنا، ويجب أن نصلي له ونطلب الأفضل لنا، والذي ممكن أن يكون غير مطابق لتوقعاتنا لما هو أفضل.

طبعاً أو من أننا يجب أن نطلب من أجل السلام والاستقلال والعدل والأمان، وأيضاً أن نسكب آلامنا وجراحاتنا وصراعاتنا أمامه، كما فعل إرميا (9: 1 و 12: 1-4 و 20: 14-18)، والمسيح قبيل الصليب (متى 26: 39)، لكن المهم في الأمر أننا في الأخير يجب أن نستسلم لإرادته ونشكره على الظروف التي اختارها لنا في هذا الوقت من التاريخ، لأن له قصد صالح من ورائها (1 تسالونيكي 5: 18). ولنتذكر أيضاً إن التذمر على الظروف التي وضعنا فيها الرب، هو تذمر على الرب شخصياً (خروج 16: 8).



وهنا أستطيع أن أشارك شهادة اختبارتها تعبر عن قصدي:  
أنا، كالكثير من سكان القدس الشرقية، لا أحمل أي جنسية، فبشكل رسمي جنسيتي غير مُعرّفة ( Undefined) إذا أردت أن أعرف ما أنا، أقول:  
أنا مسيحي فلسطيني، ذات جنسية غير مُعرّفة، حامل إقامة دائمة إسرائيلية، وجواز سفر أردني من الدرجة الثانية.

زوجتي أمريكية، وكذلك بناتي عندهم جنسية أمريكية، وفي ذات يوم قلت لنفسني لماذا لا أقدم معاملة هجرة لأمريكا (ليس لغرض الهجرة، بل للحصول على جنسية أمريكية فقط) فهذا أفضل وأسهل لي من ناحية عملية واجتماعية. قدمت المعاملة، وبعد ذلك، في صيف 2009، دُعيت كمتكلم في مؤتمر للمصالحة والشفاء بين البيض والسود في جنوب أفريقيا. وبينما أنا هناك، دعاني قس من الأفارقة لأعظ في كنيسته. وقبل الخدمة، سألني القس هناك عن وضعي السياسي، فأجبت بما قلته أعلاه، فدهش جداً من هذا وتشارك معي في كم الظلم شيء أليم من خلال اختبارهم مع البيض. ولدهشتي، عندما قدمني للحضور قال لهم حالتي السياسية، ومعاناتنا كفلسطينيين وهذا شد الحضور لي بشكل قوي واستخدمه الله لمجده مع السود بسبب الظلم الذي واجهوه من نظام الأبرتاييد العنصري الذي استمر لأنصاف التسعينات. ووعظت لهم كيف أن الله بيده مصير الأمم وتوزيع الشعوب والحدود وهو فقط يعرف ما هو أفضل لهم (أعمال 17: 26)، وتحديتهم وقلت لهم أنتم لا تعلمون إن كان من الأفضل لكم عدم وجود البيض في بلادكم أم لا، الله وحده الذي يعلم هذا، بناءً على خطته العالمية ومقاصده للملكوت. واستشهدت بالوضع القائم في زمبابوي المجاورة لهم، لا يوجد فيها أبرتاييد وهي دولة مستقلة عرقياً، لكن تحول خمسة ملايين من سكانها إلى لاجئين هروباً من الظروف الصعبة التي تمر فيها، سياسياً واقتصادياً. وأيضاً روتدا، قتل فيها حوالي مليون شخص (أي قرابة 20% من السكان) في الحرب الأهلية دون وجود إحتلال أو أبرتاييد. وتحديتهم قائلاً: هل شكرتم الله على وجود البيض في بلادكم بالرغم من الظلم الذي كابدتموه منهم؟ في نهاية تلك المشاركة حيث كان حضور الله مجيد، سعد القس الذي دعاني (الكنيسة كانت كلها من السود)، قال لي وهو مصدوم: "منذ إنشاء الكنيسة قبل 32 عام، لم يتجرأ أحد بأن يكلمنا بهذه الكلمات". شكرني على رسالتي، وتاب أمام الله لأنه خلال 32 عام، لم يقدم أي شكر لله من منبر تلك الكنيسة على وجود البيض في بلادهم، بل بالعكس تدمر مستمر. وبعدها امتلأ المكان روح شكرأ وبدأ القس بتعداد الأشياء الرائعة الإيجابية التي اكتسبها من البيض والذي كان على رأسها الإنجيل. وبنفس الوقت، شكر القس الرب على أمانته بإنهاء نظام الأبرتاييد العنصري، بالرغم من عدم أمانتهم لفهم مقاصد الله من وراء الضيق والتسليم والثقة له بروح الشكر.

السبب في مشاركتي هذه هو أنني في النهاية شعرت روح الرب يتحداني بسؤال:  
هل كان من الأفضل لهؤلاء جنسيتك غير المعرفة، أم جنسية أمريكية؟

عندها أدركت عطية الله المباركة لي – الجنسية غير المعرفة، وشكرته عليها لأنني لم أعتقد أنها شيء مبارك إطلاقاً من قبل.

فأنا كانت نظرتي للأفضل لي هو الأريخ والأسهل لي عملياً واجتماعياً، وأما نظرة الله للأفضل فكانت مرتبطة باستخدام الله لي، ومقاصده ودعوته من أجل مجده وملكوته.  
أليس هذا بالضبط ما يعلمه بولس:

" 20 الدَعْوَةُ الَّتِي دُعِيَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ فَلْيَلْبَثْ فِيهَا 21 دُعِيَتْ وَأَنْتَ عَبْدٌ فَلَا يَهْمُكَ. بَلْ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَيِّرَ حُرّاً فَاسْتَعْمِلْهَا بِالْحَرِيِّ (أي لا تكن مهموماً إذا كنت عبداً، وأما إذا فتح الرب لك باباً لأن تتحرر فتجاوب معه. مما يعني أنه في حالة مشابهة لحالتي، لشخص آخر ربما تكن مشيئة الرب أن

يأخذ جنسية أمريكية بناء على دعوة مختلفة، فيصبح أمرًا في يد الله تمامًا بالإيمان، وليس في يد الظروف). 22 لأنَّ مَنْ دُعِيَ فِي الرَّبِّ وَهُوَ عَبْدٌ فَهُوَ عَتِيقُ الرَّبِّ (هو حر، لكن مُفْرَزٌ لِلرَّبِّ). كَذَلِكَ أَيْضًا الْحُرُّ الْمَدْعُوُّ هُوَ عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ. 23 قَدْ انْتَرَيْتُمْ بِنَمْنٍ فَلَا تَصِيرُوا عَبِيدًا لِلنَّاسِ (لا تصيروا عبيدًا للقوالب والجراح السياسية والاجتماعية السائدة حولكم). 24 مَا دُعِيَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيهِ إِيَّهَا الإِخْوَةُ فَلْيَلْبَثْ فِي ذَلِكَ مَعَ اللَّهِ (والمهم في الأمر أن تضع تلك الدعوة في يد الله بالشكر وتكون سائرًا معه لأجل مقاصده). " (1 كورنثوس 7).

لست أدعى أنني أعرف الأجوبة، فأنا لا زلت أبحث. لأن هذه المواضيع قلما تُطرح بهذا الشكل عند المسيحيين العرب؛ وأنا أشعر أنها أرض روحية غير مُكتشفة بعد كما ينبغي، مع أنها بحسب اعتقادي من أهم المواضيع لنا كفلسطينيين. لذلك أطرح هذه التساؤلات للباحثين لكي يُصَلُّوا ويبحثوا بها: ما هو الخيار الأفضل برأيك لشعبنا الفلسطيني؟ وما هو الخيار الأفضل برأي الله للفلسطينيين؟ وما هي المعايير التي تحدد هذا؟ (اجتماعية، سياسية، اقتصادية، ملكوتية، كتابية، أو غيرها).

صلاتي هي أن يقودنا الله، من خلال حكمته المعطاة لنا، إلى كل الحق بالروح القدس. وذلك لبنيان جسده بالحب، لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح ربنا.

## التصادم مع سلطان الله

إن الكتاب المقدس يعلم أن الأرض هي للرب وله السلطان التام لأن يعطيها لمن يشاء. فعندما يحتل شعب أرض لشعب آخر، هذا يجعلنا نتصادم مع الكثير من الأسئلة والحقائق الصعبة والتي سنحاول أن نتعامل معها في هذا الفصل.

إن الأرض هي للرب ونرى هذا في الكثير من النصوص مثل: خروج 9: 29 و 19: 5 ومزمور 24: 1 و 47: 7 وأشعيا 14: 2 وهوشع 9: 3 و 1 كورنثوس 10: 26 و 28.

أما في إرميا فيركز الرب أيضًا على أنه صاحب الأرض، ويعطيها لمن يشاء فيقول:

" 5 إني أنا صَنَعْتُ الأَرْضَ وَالإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ الَّذِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ بِقُوَّتِي العَظِيمَةِ وَبِذِرَاعِي المَمْدُودَةِ وَأَعْطَيْتُهَا لِمَنْ حَسَنَ فِي عَيْنِي. " (إرميا 27)، وفي 2: 7، يقول الله للشعب باستياء: "... نجستم أرضي.."، لأن الله يعتبر نفسه هو الملك على الأرض أيضًا (46: 18). عندما ارتفع وافترخ نبوخذنصر ملك بابل الذين سمح لهم الرب لاحتلال هذه الأرض على زمن إرميا النبي، وأراد أن يرفع سلطانه فوق سلطان الله، أطلق عليه الله دينونته من خلال دانيال وقال:

" 32 وَيَطْرُدُونَكَ (عن نبوخذنصر) مِنْ بَيْنِ النَّاسِ وَتَكُونُ سَكْنَاكَ مَعَ حَيَوَانَ البَرِّ وَيُطْعَمُونَكَ العُشْبَ كَالثَّيْرَانِ فَتَمْضِي عَلَيْكَ سَبْعَةُ أَرْمَنَةٍ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ العَلِيَّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ وَأَنَّهُ يُعْطِيهَا مَنْ يَشَاءُ. " (دانيال 4 وأيضًا 17 و 25) وأيضًا في (دانيال 5) " 21 ... أن الله العلي سلطان في مملكة الناس وأنه يقيم عليها من يشاء."

إذاً الله هو المتسلط على جميع ممالك البشر ويعطيها لمن يشاء.

هذا أيضًا ما علمه يسوع، حيث قال لبيلاطس رئيس حكومة الاحتلال الروماني:  
" 11... لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانُ النَّبَّةِ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ... " (يوحنا 19). وأيضًا يشهد بولس أمام أناس يونان لا يعرفون الإله الحقيقي، ليبرز لهم سلطانه ومجده وعظمته فوق جميع الآلهة التي يعبدونها، حيث يقول لهم عنه:

" 26 وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَحَنَمَ بِالْأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ 27 لِكَيْ يَطْلُبُوا اللَّهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُونَهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مَثًا لَيْسَ بَعِيدًا. 28 لِأَنَّنا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ... " (أعمال 17).

في عدد 26، يشهد بولس هنا أن جميع البشر خلقوا من نفس الدم، دم آدم وحواء، وأن الله حنم بالأزمنة والأوقات وأين يسكن الشعوب والبشر، ورسم حدود الدول والشعوب.  
وفي عدد 27، يعلن أن هدف الله من وراء الأحداث التي تحدث مع الشعوب وتقسيمهم، والتي ممكن أن يكون تقسيمها من خلال ظروف مؤلمة، هو أن يعرفوا الله ويؤمنوا بالمسيح. فكل ما يعمله الله على الأرض من جهة توزيع الشعوب ورسم حدود الدول، له علاقة في خطة ملكوت الله العليا النهائية، وذلك لمنفعة الإنسان وإظهار مجد يسوع المسيح.

وفي عدد 28، يظهر بولس أن الله هو أساس كل حركة وحياة على الأرض. الهواء الذي نتنفسه، كل رمشة عين نرمشها، كل حركة نفعلها، كل قشة وريح يتحرك على هذه الأرض، وكل ما يخطر على بالنا ولا يخطر على بالنا، هو مستمد من الله، لأن به نتحرك، ونحيا، ونوجد. وهنا قد أعطى بولس كل الاحتمالات الممكنة والتي تركز عليها كل الخليقة: الحركة والحياة والوجود.

بالرغم من أن هذه الحقيقة تبدو سهلة الفهم، وطالما رأيت الكثير من الخدام العرب يقومون بإبرازها، لكنها من أصعب الأمور للقبول. فشيء رايته مرارًا وتكرارًا هو أن الكثير من المحاضرين العرب، بعدما يبرزوا أن الأرض هي للرب، وليست لليهود، وتبدأ الأسئلة بعد المحاضرة سرعان ما نكتشف أن الأرض هي ليست للرب لكن من حق الشعب الفلسطيني. كما قلت إنها من أصعب الحقائق التي ممكن أن نتخليها في هذا السياق، لذلك يجب أن لا نمر عليها مرور الكرام.

طبعًا لفهم هذه الحقيقة في هذا الجدل، يجب أن نميز بين أمرين:  
**المَلِكُ المَطْلُوقُ:** وهو الله تمامًا حيث يقول الوحي مثلًا في مزمو 24: " 1 للرب الأرض وملؤها، المسكونة والساكنين فيها. " فبحسب هذه الآية سيارتى وبيتي هما ملك الرب. لكن بنفس الوقت الله رتب أن أمتلك سيارتى وبيتي في هذا الوقت من التاريخ وهذا يقودنا إلى الأمر الثاني.  
**المَلِكُ المَوْكَلُ:** وهو أن الله المالك لكل شيء، يستأمن الأرض أو المقتنيات بأيدي البشر والحكومات في وقت معين من التاريخ بناءً على إرادته وسماحه وخطئه الصالحة من جهة ملكوته الأبدي.

فعندما نتعلم أن الله هو الذي يحدد توزيع الشعوب والحدود والدول، والله هو الذي يسمح أحيانًا لشعب بأن يحتل شعب آخر، كما راينا في كتاب إرميا وفي أرضنا هذه في القرن الأخير. وعندما نقرأ آيات ندعونا للخضوع لترتيبه وللسلطين الفانقة (رومية 13 وتيطس 3: 1-2 و 1 بطرس 2: 17)، هذا سيجعلنا نتصادم مع العديد من الأسئلة الصعبة والمحيرة، التي سنحاول الإجابة عليها من خلال سفر إرميا.

عندما يسمح الله بأن يحتل شعب، شعب آخر:

هل هذا يعني أن الله بجانب الدولة التي احتلت، وضد التي وقعت تحت احتلال؟

بالطبع لا، فبالرغم من أن الله يظهر في بداية سفر إرميا أنه هو الذي أرسل أو دعا البابليين ليحتلوا الأرض:

" 15 لِأَنِّي هُنَذَا دَاعَ كُلِّ عَشَائِرِ مَمَالِكِ الشَّمَالِ يَقُولُ الرَّبُّ قِيَاثُونَ وَيَضَعُونَ كُلُّ وَاحِدٍ كُرْسِيَّهُ فِي مَدْخَلِ أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ وَعَلَى كُلِّ أَسْوَارِهَا حَوَالِيهَا وَعَلَى كُلِّ مَدْنٍ يَهُودًا. " (إرميا 1).

إنما بحسب فهم الكتاب الذين كتبوا العهد القديم بوحي من الله، إن الله يستخدم هذه الصيغة في كل الكتاب المقدس ليرز أنه هو المتسلط على كل صغيرة وكبيرة تدور على الأرض. فالكتاب لا يستخدم إطلاقاً صيغة: " إبليس عمل.."، بجميع مشتقاتها، لكي يبرز أن الله وحده المسيطر على كل صغيرة وكبيرة تحدث على الأرض. كما يتساءل عاموس بتعجب ويقول: "... هَلْ تَحْدُثُ بِلِيَّةٍ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟" (عاموس 3: 6). طبعاً الله لا يفعل الشرور ولا يبيت أفكار الشر للأمة المعادية، لكنه هو الذي يعطي التأشيرة الأخيرة لكل ما يحدث على الأرض، وذلك ينطبق على أصغر الأشياء من سقوط عصفور أو شعرة واحدة من رأس الإنسان (متى 10: 29-30)، وإلى أعظمها. ولكي يوضح لنا الوحي هذا، أعلن الله أن البابليون كانوا ظالمين وناهيين وشمتموا بهزيمة شعب الله: " 10 وَتَكُونُ أَرْضُ الْكِلْدَانِيِّينَ غَنِيمَةً... 11 لِأَنَّكُمْ قَدْ فَرَحْتُمْ وَشَمَّيْتُمْ يَا نَاهِي مِيرَاثِي... " (إرميا 50). فإله استاء جداً على ما فعلوه (اقرأ كل إرميا 50)، ولقد أعد الله دينونة لبابل حيث أنها ستبقى خراباً إلى الأبد:

" 26 فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْكَ حَجَرًا لِزَاوِيَةٍ وَلَا حَجَرًا لِأَسْوَاسٍ بَلْ تَكُونُ خَرَابًا إِلَى الْأَبَدِ يَقُولُ الرَّبُّ. " (إرميا 51). وفعلًا، كما رأينا على مر العصور، صدقت نبوءات الكتاب المقدس، فبابل لا زالت تل أنقاض وخراب إلى هذا اليوم. أيضاً أطلق الله دينونته على أدوم لنفس السبب (راجع مرثي إرميا 4: 21-22).

### لكن ما الذي حدث بشكل مفصل؟ وكيف سمح الله للكلدانيين أن يدخلوا الأرض؟

نرى من قول الرب: " قد نصبتُ لكِ شرًّا فَعَلَقْتِ يَا بَابِلَ وَأَنْتِ لَمْ تَعْرِفِي... " (50: 24)، أن البابليون بسبب شرهم وطمعهم، أرادوا أن يحتلوا هذه الأرض، والله سمح بأنهم يحتلوا لتحقيق مقاصده التي تختص بملكوته وخلص شعبه وتنقيتهم وتأديبهم بالحق:

" 28 أَمَا أَنْتِ يَا عَبْدِي يَعْقُوبُ فَلَا تَخَفْ لِأَنِّي أَنَا مَعَكَ لِأَنِّي أَفْنِي كُلَّ الْأُمَمِ الَّذِينَ بَدَدْتِكِ إِلَيْهِمْ. أَمَا أَنْتِ فَلَا أَفْنِيكَ بَلْ أَوْدُبُكَ بِالْحَقِّ وَلَا أَبْرُتُكَ تَبْرُتَةً. " (إرميا 46 و 30: 11)، ولكنه أيضاً يحب باقي الأمم وهدفه أن يخلصهم أيضاً (منهم البابليين المعادين أنفسهم، دانيال 4: 37 و 6: 25-27). إن الله ليس مع أمة وضد أمة أخرى. وهذا نراه في سفر إرميا، فإله لم يكن راضياً على البابليين حيث أعلن أنهم سيعاقبون على ما فعلون بالمثل:

" 16 لِذَلِكَ يُؤْكَلُ كُلُّ أَكْلِيكَ وَيَذْهَبُ كُلُّ أَعْدَانِكَ قَاطِبَةً إِلَى السَّبْيِ وَيَكُونُ كُلُّ سَالِيكِ سَلْبًا وَأُدْفَعُ كُلَّ نَاهِيكِ لِلنَّهَبِ. " (إرميا 30).

لأن ما يزرعه الشعب يحصده، وهذا ينطبق على شعب الله وباقي الشعوب أيضاً، لأن ليس عند الله محاباة، كما قال لشعبه أيضاً: " 19 يُوبِّخُكَ شَرُّكَ وَعَصِيَانُكَ يُؤَدِّبُكَ... " (إرميا 2).

### هل هذا يعني أن الأمة التي احتلت، أبر من الأمة التي وقعت تحت احتلال؟

بالطبع لا، فإله يصف البابليين أنهم باغين وظالمين (50: 31-32)، ومخادعين (50: 36)، وطبعاً عبدة أصنام لذلك سيدين الله أيضاً أصنامهم:

" 2 ... أَخَذَتْ بَابِلُ خَزْيَ بَيْلُ. ائْسَحَقَ مَرُودَخُ. خَزَيْتِ أَوْثَانَهَا ائْسَحَقَتْ أَصْنَامُهَا. " (إرميا 50).

وأيضًا الله قد دعى البابليين بأنهم أشر الأمم، كما قال لحزقيال الذي سبي مع الملك يهوياكين، ونزل عليه هذا الوحي في السنة الخامسة لحكم صدقيا:  
" 24 فأتى بأشر الأمم فيرثون ببيوتهم وأبيد كبرياء الأشراء فتنجس مقادسهم. " (حزقيال 7).

ولو افترضنا أن أمة وقعت تحت احتلال كنتيجة لدينونة الله كالشعب على زمن إرميا النبي، هل هذا يعني أن الأمة التي وقعت تحت احتلال غير مظلومة لكونها وقعت تحت دينونة الله وتستحق ما حل بها؟

بالطبع لا، فالله يعلن أن شعبه ظلم جدًا من البابليين:  
" 33 هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَنِي يَهُودَا مَعًا مَظْلُومُونَ وَكُلُّ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ أَمْسَكُوهُمْ. أَبُوا أَنْ يُطْلَفُوهُمْ. 34 وَلِيَهُمْ قُوِيٌّ. رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ. يُعِيمُ دَعْوَاهُمْ لِيُرِيحَ الْأَرْضَ وَيُرْعِجَ سَكَانَ بَابِلَ." (إرميا 50).

كون بعض الشعوب تقع تحت دينونة الله عن طريق استخدام الله لشعوب أخرى معادية، هذا لا يحرر الأمم المعادية من دينونه الله على شرهم. وهذا لا يعني أن الأمة التي وقعت تحت احتلال، كنتيجة لدينونة الله، لم تُظلم من الأمم المعادية، وهذا لا يعني أن الله سيقف ساكنًا أمام الظلم لأنه يقول أيضًا:  
" 4 فَتَسْفُطُ الْقَتْلَى فِي أَرْضِ الْكِلْدَانِيِّينَ وَالْمَطْعُونُونَ فِي شَوَارِعِهَا. 5 لِأَنَّ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا لَيْسَا بِمَقْطُوعَيْنِ عَنِ الْإِلَهَمَا عَنْ رَبِّ الْجُنُودِ وَإِنْ تَكُنْ أَرْضُهُمَا مَلَأَتْهُ إِثْمًا عَلَى قُدُوسِ إِسْرَائِيلَ." (إرميا 51).

**هل كون الله مسيطر على كل صغيرة وكبيرة، يحرر الإنسان من مسئولية الخطية؟**

كما رأينا الله يظهر سلطانه فوق الإرادة الحرة التي أعطاها للإنسان وللشعوب، فبالرغم من أنه هو الذي دعا أو سمح للبابليين أن يحتلوا الأرض (1: 15)، وتارةً يسمى بابل كأس ذهب بيد الرب تسكر كل الأرض (51: 7)، إلا أن الله قد حمّل بابل مسئولية هذا الشر والعدوان كما رأينا سابقًا. فالله عنده أزمنة وأوقات، فيها يحقق، من خلال إرادة الإنسان والشعوب الحرة، مشيئته لامتداد ملكوته فيقول:  
" 6 وَالْآنَ قَدْ دَفَعْتُ كُلَّ هَذِهِ الْأَرْضِ لِيَدِ نَبُوخَدَنْصَرَ مَلِكِ بَابِلَ... 7... حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتُ أَرْضِهِ... " (إرميا 27). وفيها ستأتي دينونة بابل من ملوك مادي فيقول:  
" 11 ... قَدْ أَيْقَظَ الرَّبُّ رُوحَ مَلُوكِ مَادِي لِأَنَّ قَصْدَهُ عَلَى بَابِلَ أَنْ يُهْلِكَهَا. لِأَنَّهُ نَقَمَةُ الرَّبِّ. نَقَمَةُ هَيْكَلِهِ." (إرميا 51).

وأيضًا كما فعل الرب قبلها بأشور لعدوانهم على إسرائيل:  
" 18 ... هَنَنْدَا أَعَاقِبُ مَلِكِ بَابِلَ وَأَرْضَهُ كَمَا عَاقَبْتُ مَلِكَ أَشُورَ." (إرميا 50).  
فمقدرة الله على تحقيق مشيئته وخطته بالرغم من إرادة الإنسان الحرة، التي تميل غالبًا إلى الشر، يُظهر كم أن إلهنا إله عظيم إلى أبعد الحدود التي ممكن أن نتخيلها.

مثلًا إذا لعب الفريق "أ" كرة سلة مع الفريق "ب"، وكان بين فريق "أ" لاعب قوي ومحترف لكن الأربعة الباقين الذين معه ضعفاء جدًا، واتفقوا عمدًا أن يجعلوا فريقهم يخسر. والفريق الخصم "ب" من أقوى الفرق احترافيًا. فإذا، بالرغم من عناد وضعف الأربعة من فريق "أ"، تمكّن الفريق "أ" من الفوز، هذا يعني أن اللاعب المحترف من فريق "أ" ليس لاعبًا محترفًا فحسب، بل لاعبًا خارقًا وفوق الخيال والقدرات البشرية.

نعم إذا كان إلهنا قادر أن يغلب ويحقق مقاصده وامتداد ملكوته بالرغم من " التخبيص " البشري، كنتيجة لعطية الإرادة الحرة التي أعطاهها الله للإنسان، هذا يعني أن إلهنا إله خارق وأعظم من أي حدود بشرية ممكن أن نتخيلها. ألا يستحق هذا الإله أن نخدمه ونعمل في حقله وملكوته؟ ألا يستحق منا أن نثق به ونشكره على كل شيء؟ وعلن أنه يريد الأفضل لشعبنا، ويعرف كيف يحقق الأفضل لشعبنا.

## عواقب عدم الخضوع لترتيب الله

موضوع هذا الفصل هو عن التأثيرات السلبية التي أثرت على البلد والشعب كنتيجة لعدم خضوع قادة الشعب لترتيب الله. فكما رأينا في التأمل السابق، الله هو صاحب الأرض، وله السلطان أن يعطيها لمن يشاء ويدعونا للخضوع لسلطانه. فإله يعلم ما هو الأفضل لكل شعب، ويريدنا أن نخضع لترتيبه بالإيمان ونسلمه مصير بلادنا. كما رأينا حتى الآن مع طلب الله من الشعب على زمن إرميا النبي أن يخضعوا لترتيبه بسيطرة الاحتلال البابلي على الأرض، في ذلك الوقت من التاريخ. الله وعد ببركات كبيرة كنتيجة للخضوع لمنفعة الشعب ولإتمام خطة الله لخلاص شعبه وباقي الشعوب. لكن نرى أيضاً الكثير من التأثيرات السلبية على الشعب والبلد التي أتت كنتيجة لعدم الخضوع لترتيب الله، والتي الكثير منها مفيد لنا اليوم ككنيسة إذا أردنا أن يكون دورنا إيجابياً ويرفع بلادنا وشعبنا من الظلم والظلمة إلى نور المسيح.

### 1- التشرد اللجوء وفقدان الأرض:

إن من التأثيرات السلبية التي أثرت على البلد بسبب عدم الخضوع للسلطات الحاكمة، كانت: التشرد، اللجوء وفقدان الأرض. فالمفهوم السائد هو أن الله أراد أن يطرد شعب يهوذا من الأرض بسبب الخطية. هذا ليس دقيقاً بحسب ما نقرأه في سفر إرميا. نعم الله سمح بأن تُسبى نخبة قليلة أولى من أفضل جبابرة البأس والحرفيين من الشعب وكان بينهم النبي حزقيال أيضاً، وبقي في الأرض كما يقول الكتاب مساكين الشعب (2 ملوك 24). لكن الله أراد بهذا أن يحافظ على أفضل نخبة من الشعب من الفساد (نحميا 1: 3)، لقد كان هذا قراراً مباركاً من الله لمنفعة الشعب، لأن الله سمى أولئك بسلة التين الجيد، الذين أراد أن يبني عليهم مستقبل الشعب، بالرغم من أنهم ربما ظنوا أن السبي شيء سيء لهم، لكن الله يعلم ما هو الأفضل لنا كما قلنا:

" 3 فقال لي الرب: ماذا أنت راء يا إرميا؟ فقلت: تينا. التين الجيد جيد جداً والتين الرديء رديء جداً لا يؤكل من رداءته... 5 هكذا قال الرب إله إسرائيل: كهذا التين الجيد هكذا أنظر إلى سبي يهوذا الذي أرسلته من هذا الموضع إلى أرض الكلدانيين للخير. 6 وأجعل عيني عليهم للخير وأرجعهم إلى هذه الأرض وأبنيهم ولا أهدمهم وأغرسهم ولا أقلعهم." (إرميا 24).

وأما باقي الشعب الذين بقوا في اورشليم مع الملك صدقيا فهؤلاء أراد الله أن يبقيهم في الأرض وسماهم الرب بالتين رديء:

" 8 وكالتين الرديء الذي لا يؤكل من رداءته. هكذا قال الرب. هكذا أجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية اورشليم الباقية في هذه الأرض والساكنة في أرض مصر." (إرميا 24).

إنما أنت دعوة الرب بعدها إلى باقي الشعب من جهة البابليين كالآتي:  
" 6 وَالْآنَ قَدْ دَفَعْتُ كُلَّ هَذِهِ الْأَرْضِ لِيَدِ نَبُوخَدَنْصَرَ مَلِكِ بَابِلَ ... 11 وَالْأُمَّةَ الَّتِي تُدْخِلُ عُقْفَهَا تَحْتَ  
نِيرِ مَلِكِ بَابِلَ وَتَخْدُمُهُ أَجْعَلَهَا تَسْتَقِرُّ فِي أَرْضِهَا يَقُولُ الرَّبُّ وَتَعْمَلُهَا وَتَسْكُنُ بِهَا." (إرميا 27).  
إذا مشيئة الله من جهة الباقين، كانت أن يبقوا في الأرض كما هم، في أمان واستقرار، ويعيشوا في  
سلام وازدهار.

## فمشيئة مَنْ أن يخرج الباقين من أرضهم إذا؟

مشيئة الشيطان، وليس الله، فنقرأ أن الشيطان من خلال العرافين أراد أن يجعلهم يرفضوا سلطان الله،  
لكي يطردهم الله من الأرض كنتيجة للتمرد على السلطة التي أقامها الله في ذلك الوقت من التاريخ –  
نبوخذنصر وبابل. لذلك قال لهم:

" 9 فَلَا تَسْمَعُوا أَنْتُمْ لِأَنْبِيَاءِكُمْ وَعَرَافِيكُمْ وَحَالَمِيكُمْ وَعَانِيَكُمْ وَسَحَرَتِكُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَكُمْ: لَا تَخْدُمُوا  
مَلِكَ بَابِلَ 10 لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَنْبَأُونَ لَكُمْ بِالْكَذِبِ لِيُبْعِدُوكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ وَلَاطْرُدَكُمْ فَتَهْلِكُوا ... 15 لِأَنِّي لَمْ  
أُرْسِلُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ بَلْ هُمْ يَنْبَأُونَ بِاسْمِي بِالْكَذِبِ لِأَطْرُدَكُمْ فَتَهْلِكُوا أَنْتُمْ وَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَنْبَأُونَ لَكُمْ."  
(إرميا 27).

إذا الجزء الأكبر من الدمار والشتات، لم يأتي من الرب، بل كان كنتيجة لعدم الخضوع للترتيب  
السياسي التي وضعه الرب في الأرض في ذلك الوقت. وأتى هذا بالرغم من التحذيرات الكثيرة، قبل  
الخراب، التي نقلها إرميا النبي للملك صدقيا، كما سنرى لاحقاً.

## 2- الحرب، سفك الدماء ودمار الأرض:

إن إحدى النتائج أيضاً لعدم الخضوع هي دمار البلد والأرض، سفك الدم، الحروب، والمذابح. كما  
قلنا لم تكن مشيئة الله للباقين بأن يتركوا الأرض، لكن بعدما شرع نبوخذنصر باحتلال الأرض،  
وسبي النخبة الأولى من الشعب الذين دعاهم الله بالتين الجيد. فبالسبي الأول أطاع الملك يهوياكين  
إرادة الله وصوت أنبياءه وسلم المدينة وخرج لملك بابل هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه وأخذه  
ملك بابل إلى السبي (2 ملوك 24: 10-12)، لذلك أكرم الله طاعته وخضوعه، فبأواخر حياته رفع  
رأسه أويل مرووخ ملك بابل (ابن نبوخذنصر)، فجعل كرسيه فوق جميع ملوك بابل وكان يأكل خبزاً  
على مائدته كل أيام حياته (2 ملوك 24: 27-30). وأمّا الملك صدقيا الذي عينه نبوخذنصر عوضاً  
عن يهوياكين (2 ملوك 24: 17)، فملك في أورشليم من بعده، لكنه بعدها بتسع سنوات، ثارت غيرته  
الوطنية ضد الاحتلال البابلي واختار الكفاح المسلح والتمرد على ملك بابل وعلى رسالة إرميا النبي  
(عدد 20)، ولنقرأ النتيجة لهذا التمرد:

" 1 ... جَاءَ نَبُوخَدَنْصَرُ مَلِكُ بَابِلَ هُوَ وَكُلُّ جَيْشِهِ عَلَى أورشليم ... 4 فَتَغَرَّتِ الْمَدِينَةُ وَهَرَبَ جَمِيعُ  
رِجَالِ الْقِتَالِ لَيْلًا ... 6 فَأَخَذُوا الْمَلِكَ وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ إِلَى رَبَلَةَ وَكَلَّمُوهُ بِالْقَضَاءِ عَلَيْهِ. 7  
وَقَتَلُوا بَنِي صِدْقِيَا أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَقَلَعُوا عَيْنَيْ صِدْقِيَا وَقَيَّدُوهُ بِسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ نَحَاسٍ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بَابِلَ. 8  
وَفِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ فِي سَابِعِ الشَّهْرِ، وَهِيَ السَّنَةُ التَّاسِعَةُ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ نَبُوخَدَنْصَرَ مَلِكِ بَابِلَ، جَاءَ  
نُبُوذَرَادَانُ رَئِيسُ الشَّرْطِ عَبْدُ مَلِكِ بَابِلَ إِلَى أورشليم، 9 وَأَحْرَقَ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ وَكُلَّ بُيُوتِ  
أورشليم وَكُلَّ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ 10 وَجَمِيعُ أَسْوَارِ أورشليم مُسْتَدِيرًا هَدَمَهَا كُلُّ جِيُوشِ  
الْكَلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ مَعَ رَئِيسِ الشَّرْطِ." (ملوك 25 أنظر أيضاً إلى إرميا 39: 4-11).

كارثة كبرى، دمار كل أسوار اورشليم وكل بيوتها، وإحراق الهيكل!!!

تخيل عمل عزرا الكاهن الشاق لترميم الهيكل، وعمل نحemia المتعب لترميم أسوار اورشليم، وكل التعب في إعادة ترميم اورشليم نفسها والحرب الروحية التي كابدوها (اقرأ عزرا ونحميا). كل هذا كان لأجل إصلاح الخراب الذي نتج عن تمرد الملك صدقيا على سلطان الله من خلال السلطة السياسية التي أقامها الله في ذلك الوقت - حكم بابل. هل ممكن أن نكون ككنيسة سبب لدمار البلد؟ فمجرد التفكير في هذه الفكرة يجعلني أرعب، لذلك سأترك هذه القضية للصلاة والفحص.

رفض سلطان الله لا يعني أن أواجه بعض تصرفات الحكومات الظالم وغير المنصف ضمن القانون، لأجل الإصلاح. بل يعني رفض الأنظمة الحاكمة نفسها التي أقامها الله في البلد. أي أن أعمل، ضمن القانون أو ضد القانون، لإسقاط الأنظمة السياسية. فالخضوع لترتيب الله طبعاً لا يعني أن أكون موافق على سياسة القادة، فانه نفسه كما رأينا لم يكن راض على بابل وأعمالها (الفصل 7). الخضوع يعني أن أعلن أن السلطان الكامل بيد الله، أن أشكر الله على الوضع السياسي الذي وضعني به، وأتضرع له لكي يتدخل ويأتي بتغيير في بلدي. هذا مع إدراكي المستمر أنه يجب أن تكون قائمة التغييرات التي أرجوها من الله وأسعى إليها، محمولة على مركزية امتداد ملكوت الله وإظهار مجد يسوع المسيح.

طبعاً إذا طلبت مني الحكومة أن أفعل شيء مناهض لإيماني سوف لا اسمع لها أبداً. وهذا ينسجم مع روح الكتاب المقدس، مثلما فعلنا القابلتين في خروج 1: 15-20، حيث لم تطيعا أوامر فرعون لتسليم الأطفال للقتل. أيضاً ما فعلته راحاب، حيث أمنت بإله إبراهيم، ووضعت طاعته فوق جميع ولائها الوطني لحكومتها وشعبها (يشوع 2: 1-6 وعبرانيين 11: 31).

هذا لا ينطبق فقط على حكومة إسرائيل، بل أيضاً على السلطة الفلسطينية. فالكثير من الشعب الفلسطيني، محاط بالرفض للسلطة الفلسطينية نفسها، وأيضاً لسلطات الدول العربية، فقلما تجد أنسأناً فلسطينياً راض على أي نظام أو قائد عربي بل يشعر دائماً أنه مخذول من كل القادة. هل نريد أن نكون ملح صالح في بلادنا أم لا؟ علماً بأن الكتاب يعلمنا أن لا نطعن بالقادة السياسيين أيضاً (تيطس 3: 1-2).

### 3- انتشار الخيانات والظلم والاستغلال:

لقد رأينا كنتيجة لعدم الخضوع للسلطة التي أقامها الله، انتشار ظاهرة التخوين: مثل إرميا الذي اتهم بالعمالة والخيانة الوطنية (إرميا 37: 13-14 و 38: 4). والملك صدقيا نفسه كان تحت ضغط التخوين، فكان يعلم أن إرميا يقول الحق فأراد أن يستمع لقول الرب من فمه (38: 14-18). لكن جعل هذا الأمر سرّاً لئلا يفقد وزنه السياسي ويُنهم بالعمالة لقوات الاحتلال البابلي ويُنقم منه (عدد 16). فبالرغم من أن إرميا حثه على الخضوع لملك بابل كنداء أخير ليمنع حرق ودمار اورشليم، لكنه لم يستطع أن يطيع الرب، وفازت غيرته الوطنية ووزنه السياسي على طاعة الرب:

" 17 فَقَالَ إِرْمِيَا لِصِدْقِيَا: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: إِنْ كُنْتَ تَخْرُجُ خُرُوجاً إِلَى رُؤَسَاءِ مَلِكِ بَابِلَ تَحِيًّا نَفْسِكَ وَلَا تُحْرَقُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ بِالنَّارِ بَلْ تَحِيًّا أَنْتَ وَبَيْتُكَ. 18 وَلَكِنْ إِنْ كُنْتَ لَا تَخْرُجُ إِلَى رُؤَسَاءِ مَلِكِ بَابِلَ تُدْفَعُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ لِيَدِ الْكَلْدَانِيِّينَ فَيُحْرَقُونَهَا بِالنَّارِ وَأَنْتَ لَا تُقَلِّتُ مِنْ يَدِهِمْ. 19 فَقَالَ



صِدْقِيَا الْمَلِكُ لِإِرْمِيَا: إِنِّي أَخَافُ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَدْ سَقَطُوا لِلْكَلدَانِيِّينَ لئَلَّا يَدْفَعُونِي لِيَدِهِمْ فَيَزِدُّوْا بِي. " (إرميا 38).

لذلك رأينا أيضاً الاغتيالات السياسية:

عندما عين ملك بابل جدليا بن أخيقام عوضاً عن صدقيا، ابتداء يدعو الملك جدليا ما تبقى من الشعب للخضوع لملك بابل، فلاقت دعوته استجابة كبيرة من باقي السكان (40: 7-13). لكن جاءت إلى جدليا مجموعة، على رأسها إسماعيل بن نثنيا بن أليشاماع، وأكلوا مع الملك جدليا خبزاً وبعدها اغتالوه هو وكل الشعب الذين معه، وأيضاً قتلوا ثمانين رجل آخرين أتوا إليه من شكيم وشيلو والسامرة، والباقيين سبواهم إلى أرض بني عمون (41: 1-10).

فعملوا ببعضهم البعض نفس ما عمله الاحتلال البابلي بهم – واه أسفاه.

أليس هذا سناريو متكرر في تاريخ البشرية؟

نرى أيضاً أن عدم الخضوع لسلطان الله، أدى إلى انتشار ظاهرة استغلال الشعب لبعضهم البعض. " 12 فَصَارَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَى إِرْمِيَا: 13 هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَنَا قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَ آبَائِكُمْ يَوْمَ أُخْرِجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعَبِيدِ قَائِلًا: 14 فِي نِهَائِيَةِ سَبْعِ سِنِينَ تُطْلِقُونَ كُلَّ وَاحِدٍ أَخَاهُ الْعِبْرَانِيَّ الَّذِي بَاعَ لَكَ وَخَدَمَكَ سِتَّ سِنِينَ فَنُطْلِقُهُ حُرًّا مِنْ عِنْدِكَ.... 16 ثُمَّ عُدْتُمْ وَدَسَّسْتُمْ اسْمِي وَأَرْجَعْتُمْ كُلَّ وَاحِدٍ عَبْدَهُ وَكُلَّ وَاحِدٍ أُمَّتَهُ الَّذِينَ أَطْلَقْتُمُوهُمْ أَحْرَارًا لِأَنفُسِهِمْ وَأَخْضَعْتُمُوهُمْ لِيَكُونُوا لَكُمْ عِبِيدًا وَإِمَاءً. " (إرميا 34).

لم يكفي القمع والظلم البابلي للشعب، فانتشرت ظاهرة الظلم والاستغلال لبعضهم البعض وهذا شيء محزن جداً، وخاصةً لشعب كابد الكثير من ظلم والقمع من الاحتلال البابلي. أليس هذا سيناريو متكرر في تاريخ البشرية أيضاً؟

صلاة:

" 23 أدركت يا رب أن الإنسان لا يملك زمام طريقه، وليس في وسع الإنسان أن يوجّه خطى نفسه.

24 قَوْمَنِي يَا رَبُّ بِحَقِّكَ لَا بَغْضَبِكَ، لئَلَّا تَلْأَشِينِي. " (إرميا 10، ترجمة كتاب الحياة).

أيضاً لقد وبخ الله صدقيا على يد حزقيال بأن لا ينقد عهده مع نبوخذنصر (حزقيال ١٧: ١٨-١٩)